الفصل الثالث

هؤلاء لا يحبهم الله ﷻ

حقيقة الأمر أنك لا تجد شراً إلا وقد نهي الله ﷻ عنه لأنه لا يحبه ولا يحب أهله ماداموا عليه قائمين، لكنّا إذا أردنا أن نعرض لكل أصناف الشر فإنّا لا شك نسلك بذلك درباً من دروب المستحيل.

لكنا نعرض بشيء من الإيجاز لبعض الصفات التي أخبر الله ﷻ أنه لا يحبها ولا يحب أهليها بصريح القول في القرآن الكريم، فقد أخبر جل في علاه أنه لا يحب الكافرين والمفسدين والمسرفين والمعتدين والظالمين والخائنين والمختالين والمجاهرين والمستكبرين والفرحين.

ثم ننظر في أنفسنا نظرة فاحصة نطهرها وننقيها من كل صفة أو أثار صفة قد تكون فيها من تلك الصفات التي لا يحبها باريها.

لعلنا نكون بفضل الله أهلاً لأن نبلغ حبه ورضاه.

* * *

الله لا يحب الكافرين

قال تعالى:{ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ } [آل عمران: ٣٢].

وقال تعالى:{مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ } [الروم: ٤٤ - ٤٥].

وقال رسول الله ﷺ:**"التحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر ومن لم يشكر القليل لا يشكر الكثير ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله والجماعة بركة والفرقة عذاب -** (1).

وقال رسول الله ﷺ:**"أشكر الناس لله أشكرهم للناس -** (2).

والكفر بداية هو الجحود لكننا لن نتحدث عن ذلك الكفر المخرج من الملة لكن الكفر الذي عليه مدار حديثنا هو كفر النعمة والذي هو عكس الشكر، ذلك الكفر الذي عليه أكثر الناس إلا من رحم الله ﷻ.

قال تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ } [البقرة: ٢٤٣].

وإنه لمن الخذلان أن ينشغل الإنسان بالنعمة عن المنعم فلا يشكره على ما أنعم به عليه وتفضل، وإنه لمن الخذلان ألا يدرك أن كل نعمة أنعم الله ﷻ بها على عباده إنما هي ابتلاء منه سبحانه ليعلم الشاكر من الكافر علماً يقيم به الحجة عليهم وتأمل الآيات لتعلم العلة من كل النعم.

قال تعالى:{قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ} [النمل:٤٠].

وقال تعالى:{مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ

(1) رواه البيهقي وحسنه الألباني 3014 ص.ج.
(2) رواه الطبراني أحمد في مسنده وصححه الألباني 1008 ص.ج.

لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [المائدة: ٦].

وقال تعالى:{وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ} [السجدة: ٩].

وقال تعالى:{ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [الجاثية: ١٢].

وقال تعالى:{وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [النحل: ٧٨].

وقال تعالى:{وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [القصص: ٧٣].

فهل تأملت هذه الآيات الكريمات وغيرها كثير لتعلم أن العلة من إنعام المنعم سبحانه إنما هي الشكر، ولكن أبى أكثر الناس إلا الكفر بنعمة الله ﷻ.

قال تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ} [غافر: ٦١].

وقال تعالى:{وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} [إبراهيم: ٣٤].

حتى إنه لمن عجيب الأمر أن أئمة الكفر هم المترفون بالنعم الذين توالت عليهم نعم الله ظاهرة وباطنة.

قال تعالى:{وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ} [الزخرف: ٢٣].

وقال تعالى:{ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ} [سبأ: ٣٤].

وكان أولى بهم أن يشكروا الله تعالى على ما وهبهم من النعم لا أن يجعلوها مدعاة للكفر وهم يحسبون أنهم مانعتهم نعم الله عليهم من عذابه، قال تعالى حكاية عنهم:

{وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ} [سبأ: ٣٥].

ثم هم يتباهون بالنعم رغم أنهم بالمنعم كافرون، قال تعالى حكاية عن صاحب الجنتين الكافر:

{وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا} [الكهف: ٣٤].

فيجيب الله ﷻ على هذا وذاك قائلاً: {قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٦) وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ} [سبأ: ٣٦، ٣٧].

وإنه لمن عجيب الأمر أن من الناس من إذا أنعم الله ﷻ عليه بنعمة فإذا به ينسبها إلى غير واهبها.

فقد ينسب الإنسان النعمة التي هو فيها إلى علمه أو إلى جهده أو إلى مخلوق ضعيف مثله لا يملك عطاءً ولا منعاً ولسان حاله لسان حال قارون: {قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي} [القصص: ٧٨]، أما يخشى أن تتشابه العواقب من خسف وغضب وخذلان وسوء عاقبة.

ومن الناس من ينسب النعمة إلى جماد لا يعقل وياله من عجب وفي ذلك يقول النبي ﷺ: **"ألم تروا ما قال ربكم؟ قال ما أنعمت على عبادي من نعمة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين يقولون الكواكب وبالكواكب -** [1].

وإنه لمن عجيب الأمر أن من الناس من يجحد نعم الله عليه على كثرتها وكأنه لا عين له ترى ولا أذن له تسمع ولا قلب له يعي نعم الله عليه التي لا تعد ولا تحصى والتي هي ملء القلب والسمع والبصر.

قال تعالى: {يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ} [النحل: ٨٣].

(1) رواه مسلم.

وقال تعالى:{إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ} [العاديات: ٦ - ٧].

وقال تعالى:{أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ} [إبراهيم: ٢٨ - ٢٩].

وقال تعالى:{وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ} [النمل: ١٤].

فإذا كنت لا تسدي معروفاً إلى جاحد فلا تكن من شيمتك الجحود، ولا تكن كالأرض السبخة التي مهما تسقى لا ينبت فيها عود.

ولا تأبي خُلقاً من عبد لعبد ثم تقبله على نفسك وأنت عبد لرب فإنك بذلك تقيم الحجة بنفسك على نفسك، فلقد سئل حكيم عن أضيع الأشياء؟ فقال أربعة:

- مطر الجود في أرض سبخة لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها.
- وسراج يوقد في الشمس.
- وجارية حسناء تزف إلى أعمى.
- وصنيعة تسدى إلى من لا يشكرها.

فلا ابتلاك الله ببلاء يعجز عنه صبرك، ولا أنعم الله عليك بنعمة يكون جزاؤها كفرك.

فليكن لسان حالك دائماً أبداً:

إلهي لك الحمد الذي أنت أهله ::: على نعم ما كنت قط لها أهلا
إذا زدت تقصيراً زدتني فضلاً ::: وكأني بالتقصير استوجب الفضلا

وللشكر قواعد لابد أن تكون بها عالماً وبعد العلم لابد أن تكون لها عاملاً ثم في حال علمك وعملك لابد أن تكون موقناً مخلصاً.

أما قواعد الشكر فهي خمس قواعد:

* **أولاً:** خضوع الإنسان للمنعم سبحانه وتعالى.

* **ثانياً**: حبه للمنعم حباً خالصاً غير مرتبط بوجود النعمة أو زوالها.

* **ثالثاً**: اعترافه بنعم المنعم عليه وأنها محض فضل من الله عليه.

* **رابعاً**: ثناؤه علي الله ﷻ بما يستطيع من السبل وإ ن كان لا أحد يحصى عليه ثناء فقد سأل داود عليه السلام ربه ﷻ وقال: يارب كيف أشكرك وشكرك نعمة من عندك تستوجب بها شكراً؟ فقال الله تعالى: الآن شكرتني يا داود.

وهذا المعنى الذي أشار إليه الشاعر حين قال:

إذا كان شكر العبد لله نعمة ::: عليه له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله ::: وإن طالت الأيام واتصل العمر

* **خامساً**: أن تستخدم النعمة فيما أمر الله به وتجتنب ما نهى الله عنه، فقد سئل الحسن رضي الله عنه من أشد الناس صراخاً يوم القيامة؟ قال: رجل آتاه الله تعالى من نعمه فاتخذها سبيلاً إلى معصيته.

أما طرق الشكر فثلاثة مجتمعة:

- **أما الأول**: فالشكر بالقلب اعترافاً وخضوعاً واستكانة وذلك هو القلب السليم الذي قال الله عنه:{يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء: ٨٨ - ٨٩].

- **وأما الثاني**: فالشكر باللسان ثناءً واعترافاً وذكراً، قال تعالى:{وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} [الضحى: ١١].

- **وأما الثالث**: فالشكر بالجوارح طاعة وانقياداً وجهداً، قال تعالى: {اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ } [سبأ: ١٣].

فما من جارحة إلا ولها شكر واجب لله ﷻ.

فمن شكر العينين أنك إذا رأيت بهما خيراً ذكرته وإذا رأيت بها سوءاً سترته.

ومن شكر الأذنين أنك إذا سمعت بهما خيراً حفظته وإذا سمعت بهما شراً كتمته.

ومن شكر اللسان أنه إذا كان القول خيراً قلته وإذا كان القول شراً منعته.

ومن شكر القدمين أنك إذا علمت بخير قصدته وإذا علمت بشر تجنبته وتركته.

وكذلك كل جارحة عليها شكر الله تعالى واجب لابد أن تؤديه، واعلم أن للشكر ثماراً لا يجنيها إلا شاكر، لا يجنيها أبداً جاحد بالنعمة أو كافر.

ومن تلكم الثمار:

*** أولاً: الشكر أمان من العذاب:**

إن الله ﷻ جعل الأمان من العذاب مرهوناً بأمرين: أما الأول: فإيمان صادق به سبحانه وأما الثاني فشكره على نعمائه فمن أقامهما حق الإقامة وأداهما على الوجه الذي يرضيه سبحانه فلا يخشى من الله عذاباً، قال تعالى:{مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا} [النساء: ١٤٧].

*** ثانياً: الشكر سبيل إلى رضا الله ﷻ:**

قال تعالى:{ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ} [الزمر: ٧].

ومن رضى الله عنه لا محالة سوف يرضيه في الدنيا والآخرة.

*** ثالثاً: الشكر نجاة من الكرب:**

قال تعالى:{إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ} [القمر: ٣٤-٣٥].

وكأن سبب نجاة آل لوط عليه السلام أنهم كانوا من الشاكرين ولم يجعلها الله ﷻ قاصرة عليهم ولكن قال:{كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ} [القمر: ٣٥]..

*** رابعاً: الشكر يزيد النعم:**

قال تعالى:{ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ } [إبراهيم: ٧]، فلقد جعل الله ﷻ الزيادة مرهونة بالشكر والزوال مرهوناً بالجحود والكفر.

قال تعالى:{فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ} [البقرة: ١٥٢]، أي: اذكروني بكوني المنعم المتفضل عليكم أذكركم بأن أزيدكم من نعمي ومن فضلي وفي الأثر أن الله تعالى يقول:"**أهل ذكري أهل مجالستي وأهل شكري أهل زيادتي** - ولذلك يقول حكيم:... من أعطى أربعاً لم يمنع من أربع من أُعطى التوبة - لم يُمنع القبول

ومن أُعطى الاستخارة - لم يُمنع الخيرة

ومن أُعطى المشورة - لم يُمنع الصواب

ومن أُعطى الشكر - لم يمنع المزيد

ولذلك فمن لم يظهر عليه أثر المزيد، اعلم أنه ما شكر الله تعالى الشكر الواجب وإلا زيد.

*** خامساً: الشكر سبيل إلى حب الله ﷻ:**

فإذا كان الله تعالى لا يحب الكافرين الجاحدين لنعمائه وآلائه فعلى النقيض من ذلك فإنه يحب الشاكرين

وكفى بالحب ثواباً لمن شكر.

وكفى بالبغض عقاباً لمن كفر.

وسوف يأتي يوم يعلم فيه ما بينهما من فرق كبير.

يوماً يكون فيه إلى الله المصير.

يومها فريق في الجنة وفريق في السعير.

*** سادساً: الشكر سبيل إلى عدم زوال النعم:**

فإن كان المزيد مقروناً ومرهوناً بالشكر فإن الزوال مقرون ومرهون بالكفر، فإن قارون لما كفر بنعمة الله تعالى عليه ونسبها إلى علمه خسف الله به وبداره الأرض، فأيقن من حوله أن ذلك إنما كان بسبب كفره وجحوده فقالوا:{لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ} [القصص: ٨٢].

وكذلك قوم سبأ لما آتاهم الله من فضله وأمرهم بشكره، قال تعالى:{لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ} [سبأ: ١٥]، فلما جحدوا نعمة الله عليهم ولم يشكروا الله تعالى على ما أتاهم من فضله سلبهم الله تلك النعم، قال تعالى:{ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ} [سبأ: ١٦، ١٧]، ثم يختم الله ﷻ قصتهم بقوله تعالى:{إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} [سبأ: ١٩]..

فبقاء النعم مرهون بالشكر عليها وزوالها مرهون بالكفر بها فاعتبروا ياأولي الألباب.

فإذا كنت في نعمة فارعها ::: فإن المعاصي تزيل النعم
وداوم عليها بشكر الإله ::: فإن الإله سريع النقم

*** سابعاً: الشكر سبيل إلى الأمن والشبع:**

قال تعالى:{وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ} [النحل: ١١٢].

فقد جعل الله ﷻ من جزاء الشاكرين الأمن والشبع في الحياة الدنيا إلا أن تقتضي حكمته غير ذلك ناهيك عن حسن العاقبة في الآخرة.

وجعل الخوف والجوع من جزاء الكافرين بالنعم في الحياة الدنيا إلا أن يملى لهم ليزدادوا كفراً ناهيك عن سوء العاقبة في الآخرة.

ومن بات آمناً غير خائف شبعان غير جائع لم يبق له إلا العافية ليكون كمن ملك الدنيا بأجمعها فقد قال رسول الله ﷺ:"**من أصبح منكم آمناً في سربه معافي في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها** - [1].

*** ثامناً: الشكر من خُلق الأنبياء:**

وكيف لا وهم قدوة للبشر جميعاً وهم خيرة الله من خلقه اختارهم على علم وحكمة وبعثهم للناس رحمة ليعلموهم الحق والخير ومكارم الأخلاق فكانوا لأنعم الله شاكرين فهذا نوح عليه السلام قال الله تعالى عنه:{إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} [الإسراء: ٣].

وهذا إبراهيم عليه السلام قال الله تعالى عنه:{شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِۦٓ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [النحل: ١٢١].

وهذا موسى عليه السلام يقول الله تعالى عنه:{قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ} [الأعراف: ١٤٤]، فكان كما أمر.

وهذا سليمان عليه السلام قال الله تعالى حكاية عنه:{وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ} [النمل: ١٩].

وهذا يوسف عليه السلام يدعو ربه راجياً شاكراً قائلاً:{رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ} [يوسف: ١٠١].

أما محمد ﷺ لما أمره الله تعالى بالشكر وقال له:{بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ} [الزمر: ٦٦].

فلم يكن شاكراً وحسب بل كان شكّاراً لله تبارك وتعالى كما كان يدعو ربه ويقول:"**اللهم اجعلني لك ذكاراً لك شكاراً لك راهباً لك مطواعاً إليك**

(1) رواه الترمذي وحسنه الألباني 6042 ص.ج.

مخبتاً إليك أواهاً منيباً -[1]، وما قام لله حتى تورمت قدماه وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر إلا لأنه عبداً شكورا.

فكان ﷺ لا يشغله أمر عن شكر الله تعالى

لا يشغله مرض ولا حرب... ولا ينسيه بأس ولا كرب

ولا كل ما به من خطوب... ولو كان به ألف خطب

وفوق ذلك كله فإن الله هو العلي العظيم

من صفات كماله أنه شاكر عليم

قال تعالى:{وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا} [النساء: ١٤٧].

فتأمل نعم الله تعالي عليك... وانظر كم من آلائه طوع يديك

واعلم أن من شكر فقد فُتح له باب المزيد

ومن كفر فإن الله غنيٌ حميد

واعلم أن النعمة صيد والشكر قيد

فإن لم تحكم القيد لابد وأن يفلت الصيد

وتأمل قول الله تعالي:{ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ } [النحل: ١١٤].

{رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ } [الأحقاف: ١٥].

* * *

(1) رواه الترمذي وصححه الألباني 4385 ص.ج.

الله لا يحب المفسدين

قال تعالى:{وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ} [القصص: ٧٧].

وقال تعالى:{وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ} [المائدة: ٦٤].

وقال تعالى:{ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ} [البقرة: ٢٠٤ - ٢٠٥].

وسئل النبي ﷺ:**"أنهلك وفينا الصالحون؟** - قال:**"نعم إذا كثر الخبث** - [1].

إن الكون كله مخلوق على هيئة الصلاح فكل ما فيه صالح لأن ينتفع به الإنسان فلا ترى عينك فساداً إلا فيما عبثت به أيدي الناس مما سخره الله لهم، قال تعالى:{ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الروم: ٤١].

أما ما شاء الله تعالى ألا تصل إليه أيدي الناس فقد ظل على هيئته الأولى من الصلاح لا يشوبه أي قصور... قال تعالى:{مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ} [الملك: ٣ - ٤].

فلم تتأخر الشمس يوماً عن موعدها المعهود

(1) متفق عليه.

ولا يكتمل القمر بدراً إلا في يوم محدود

ولم تتوقف الأرض لحظة عن الدوران

ولم تمتنع الرياح يوماً عن الجريان

وهذا من عظيم فضل الله تعالى ورحمته بعباده أن الأشياء التي بفسادها يفسد الكون كله لم يجعل الله ﷻ للناس عليها سبيلاً ولا سلطاناً وذلك لأن الناس أصحاب أهواء واتباع الهوى لابد وأن يؤدي إلى الفساد والإفساد، قال تعالى:{وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ} [المؤمنون: ٧١].

وحقيقة الأمر أن المفسد إنما هو معاند للفطرة بكل حال، تلك الفطرة التي تدور بين أمرين:

أما الأول: فهو أن يترك الإنسان الشيء الصالح علي صلاحه ولا يمسه بسوء.

وأما الثاني: فهو أن يزيد الإنسان الشيء الصالح صلاحاً بما تتطلبه الحاجة ويصلح ما أفسده الآخرون.

قال تعالى:{وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ} [الأعراف: ١٤٢].

والفساد ينقسم إلى نوعين:

أما الأول: ففساد الإنسان في نفسه.

وأما الثاني: فإفساد الإنسان في الكون من حوله.

ولا شك أن كلا النوعين مرتبط بالآخر ارتباطاً تبادلياً فالفاسد في نفسه لاشك يؤثر في المجتمع من حوله سلباً لأنه يعيث في الأرض فساداً وكذلك المجتمع الفاسد يؤثر على من فيه بدرجات متفاوتة إلا من عصم الله ﷻ.

ونفصل لذلك فنقول:

*** أولاً: فساد الإنسان في نفسه:**

ويكون ذلك بفساد كل جارحة من جوارحه وذلك باستخدامها في غير ما خُلقت له، فإن لكل خلق من خلق الله ﷻ حكمة لا يتجاوزها إلا فسد يعلمها من علم ويجهلها من جهل

قال تعالى:{إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر: ٤٩].... وقال تعالى:{فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ} [المرسلات: ٢٣].

فجوارح الإنسان مهيأة بإذن الله تعالى لما خلقت له بموازين لا تخطئ موازين لا تصلح إلا بها ولا تفسد إلا بدونها، ونسوق لذلك بعض الأمثلة:

- فالعين خلقت ولها موازين تحدد سبيل صلاحها في كل زمان وفي كل مكان:

فمن موازينها قوله تعالى:{وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ} [طه: ١٣١].

ومن موازينها قوله تعالى:{يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} [غافر: ١٩].

ومن موازينها قوله تعالى:{وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} [الإسراء: ٣٦].

ومن موازينها قوله تعالى:{قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [العنكبوت: ٢٠].

ومن موازينها قوله تعالى:{أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ} [النجم: ٥٩ - ٦٠].

ومن موازينها قوله تعالى:{قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ} [النور: ٣٠ - ٣١].

ومن موازينها قول الرسول ﷺ:**"إذا رأى أحدكم من أخيه أو من نفسه أو**

من ماله ما يعجبه فليدع بالبركة فإن العين حق - [1].

ومن موازينها قوله ﷺ:**"عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله -** [2].

ومن موازينها قوله ﷺ:**"ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه -** [3].

ومن موازينها قوله ﷺ:**"العين تزني وزناها النظر -** [4].

ومن موازينها قوله ﷺ:**"إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم -** [5].

إلى غير ذلك من الموازين الشرعية التي إذا ما زاغت العين عنها أو حادت فإنها لا شك فاسدة أو إلى فساد

– والقدم كذلك خلقت ولها موازين تحدد سبيل صلاحها في كل زمان وفي كل مكان:

فمن موازينها قوله تعالى:{هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ} [الملك: ١٥].

ومن موازينها قوله تعالى:{وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ} [لقمان: ١٩].

ومن موازينها قوله تعالى:{إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ} [طه: ١٥].

ومن موازينها قوله تعالى:{ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ} [النجم: ٣٩ - ٤٠].

ومن موازينها قوله تعالى:{وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا} [الإسراء: ٣٧].

---

(1) رواه الحاكم وصححه الألباني 556 ص.ج.
(2) رواه الترمذي وصححه الألباني 4112 ص.ج.
(3) متفق عليه.
(4) رواه مسلم.
(5) رواه أبو داود وصححه الألباني 2295 ص.ج.

ومن موازينها قوله تعالى:{يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ} [النازعات: ٣٥].

ومن موازينها قوله تعالى:{وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} [لقمان: ١٨].

ومن موازينها قوله تعالى:{قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ} [الأنعام: ١١].

ومن موازينها قوله تعالى:{قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ} [النمل: ٦٩].

ومن موازينها قوله تعالى:{وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا} [الفرقان: ٦٣].

ومن موازينها قول النبي ﷺ:**"لأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إليّ من أن أعتكف في هذا المسجد شهراً -** (1).

ومن موازينها قوله ﷺ:**"الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار -** (2).

ومن موازينها قوله ﷺ:**"ومن مشي مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له أثبت الله تعالي قدمه يوم تذل الأقدام -** (3).

إلى غير ذلك من الموازين الشرعية التي إذا ما حادت عنها القدم فإنها لاشك فاسدة أو إلى فساد. علي أن المشى والسعى والسير في الآيات والأحاديث أكبر وأعم وأشمل من سير الأقدام ولكنها إشارة لأولى الأفهام.

واليد كذلك خلقت ولها موازين تحكمها وتبين سبيل صلاحها في كل زمان وفي كل مكان:

فمن موازينها قوله تعالى:{وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ

(1) رواه الطبراني وحسنه الألباني 176 ص.ج.
(2) متفق عليه.
(3) رواه الطبراني وحسنه الألباني 176 ص.ج.

ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا} [الإسراء:٢٩].

ومن موازينها قوله تعالى:{وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } [التوبة: ١٠٥].

ومن موازينها قوله تعالى:{وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [المائدة: ٣٨].

ومن موازينها قول الرسول ﷺ:**"يد المعطي العليا وابدأ بمن تعول أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك -** (1).

ومن موازينها قوله ﷺ:**"اليد العليا خير من اليد السفلى وأبدأ بمن تعول وخير الصدقة ما كان عن ظهر غني ومن يستغن يغنه الله ومن يستعفف يعفه الله -** (2).

ومن موازينها قوله ﷺ:**"اليد العليا خير من اليد السفلى، واليد العليا هي المنفقة واليد السفلى هي السائلة -** (3).

إلي غير ذلك من الموازين الشرعية التي إذا ما حادت عنها اليد فإنها لاشك فاسدة أو إلي فساد.

والأذن كذلك خلقت ولها موازين تحكمها وتبين سبيل صلاحها في كل زمان وفي كل مكان:

فمن موازينها قوله تعالى:{وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ } [القصص: ٥٥].

ومن موازينها قوله تعالى:{ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ } [الزمر: ١٨].

ومن موازينها قوله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ

(1) رواه النسائي وصححه الألباني 8067 ص.ج.
(2) رواه البخاري.
(3) متفق عليه.

ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا} [الحجرات: ١٢].

ومن موازينها قول النبي ﷺ:"**من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صُب في أذنيه الآنك يوم القيامة** - [1].

إلي غير ذلك من الموازين الشرعية التي إذا ما حادت عنها الأذن فإنها لاشك فاسدة أو إلي فساد.

واللسان كذلك خلق وله موازين تحكمه وتبين سبيل صلاحه في كل زمان وفي كل مكان:

ومن موازينه قوله تعالى:{وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ} [المؤمنون: ٣].

ومن موازينه قوله تعالى:{وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا سَلَٰمًا} [الفرقان: ٦٣].

ومن موازينه قوله تعالى:{وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا} [الفرقان: ٧٢].

ومن موازينه قوله تعالى:{فَٱجْتَنِبُوا ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا قَوْلَ ٱلزُّورِ} [الحج: ٣٠].

ومن موازينه قوله تعالى:{مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق: ١٨].

ومن موازينه قوله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا} [الأحزاب: ٧٠].

ومن موازينه قوله تعالى:{وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ} [فصلت: ٣٣].

ومن موازينه قوله تعالى:{فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ} [العنكبوت: ٣].

ومن موازينه قوله تعالى:{وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا} [البقرة: ٨٣].

(1) رواه الطبراني وصححه الألباني 6028 ص.ج.

ومن موازينه قوله تعالى:{وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ} [الأحزاب: ٣٥].

ومن موازينه قوله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ} [الحجرات:١١].

ومن موازينه قوله تعالى:{وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ} [الحجرات: ١٢].

ومن موازينه قوله تعالى:{قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ} [البقرة: ٢٦٣].

ومن موازينه قوله تعالى:{لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ} [النساء: ١١٤].

ومن موازينه قول الرسول ﷺ:**"أحب الأعمال إلى الله أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله -** [1].

ومن موازينه قوله ﷺ:**"إياكم وكثرة الحلف في البيع -** [2].

ومن موازينه قوله ﷺ:**"أية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان -** [3].

ومن موازينه قوله ﷺ:**"قولوا خيراً تغنموا واسكتوا عن شر تسلموا -** [4].

ومن موازينه قوله ﷺ:**"أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على**

(1) رواه الطبراني وابن حبان وصححه الألباني 165 ص.ج.
(2) رواه مسلم.
(3) متفق عليه.
(4) صحيح الجامع 4419 من حديث عبادة بن الصامت.

خطيئتك - [1].

ومن موازينه قوله ﷺ:"من دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك الموكل به آمين ولك بمثله - [2].

ومن موازينه قوله ﷺ:"ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء - [3].

ومن موازينه قوله ﷺ:"إن الله لا يحب الفاحش المتفحش - [4].

ومن موازينه قول ﷺ:"إن الرجل ليتكلم بالكلمة التي لا يرى بها بأساً يهوى بها في النار سبعين خريفاً - [5].

ومن موازينه قوله ﷺ:"إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة - [6].

ومن موازينه قوله ﷺ:"إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان فتقول اتق الله فينا فإنما نحن بك فإذا استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا - [7].

ومن موازينه قوله ﷺ:"ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم – ويل له – ويل له - [8].

ومن موازينه قوله ﷺ:"ليس يتحسر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة

(1) رواه الترمذي وصححه الألباني 1392 ص.ج.
(2) رواه مسلم.
(3) رواه البخاري.
(4) رواه أحمد في مسنده وحسنه الألباني 1850 ص.ج.
(5) رواه الترمذي والحاكم وصححه الألباني 1618 ص.ج.
(6) رواه الترمذي والنسائي وصححه الألباني 1617 ص.ج.
(7) رواه الترمذي وحسنه الألباني 351 ص.ج.
(8) رواه الترمذي وأبو داود وحسنه الألباني 7136 ص.ج.

مرت بهم لم يذكروا الله ﷻ - [1].

ومن موازينه قوله ﷺ:"وهل يكب الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم - [2].

ومن موازينه قوله ﷺ:"إنك لن تزال سالماً ما سكت فإذا تكلمت كتب لك أو عليك - [3].

ومن موازينه قوله ﷺ:"من يضمن لي بما بين لحييه ورجليه أتكفل له بالجنة - [4].

إلي غير ذلك من الموازين الشرعية التي إذا ما حاد عنها اللسان فإنه لاشك فاسد أو إلي فساد.

والوجه كذلك خلق له موازين تحكمه وتبين صلاحه في كل زمان وفي كل مكان:

ومن موازينه قوله تعالى:{وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة: ١٤٨].

ومن موازينه قوله تعالى:{وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ} [لقمان: ١٨].

ومن موازينه قول الرسول ﷺ:"من شرار الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه - [5].

ومن موازينه قوله ﷺ:"من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار - [6].

إلي غير ذلك من الموازين الشرعية التي إذا ما حاد عنها الوجه فإنه

(1) رواه الطبراني والبيهقي عن معاذ.
(2) رواه الترمذي وصححه الألباني 5136 ص.ج.
(3) رواه الطبراني.
(4) رواه البخاري.
(5) متفق عليه.
(6) رواه أبو داود وصححه الألباني 6496 ص.ج.

لاشك فاسد أو إلي فساد.

أما القلب: فلأن عليه مدار الحب الذي هو حديثنا فكلامنا عنه يطول بعض الشيء وذلك لأنه بصلاحه يصلح الجسد كله وبفساده يفسد الجسد كله فقد قال رسول الله ﷺ:**"ألا إن في الجسد مضغة إذا فسدت فسد الجسد كله وإذا صلحت صلح الجسد كله ألا وهي القلب -** [1].

ومدار فساد القلب على خمسة أشياء في الغالب:

المفسد الأول: التعلق بغير الله تعالى:

وهذا أعظم مفسداته على الإطلاق وذلك أن العبد إذا تعلق بغير الله وكله الله إلى ما تعلق به، وخذله من حيث كان يرجو النصر وأغمه وأهمه من حيث كان يرجو السعادة وأهلكه وأرداه من حيث كان يرجو النجاة وذلك أن الإنسان إذا قدم على حب الله حباً كان إلهه هذا الذي قدم، فانظر في قلبك وفي نفسك واعلم أنه:{لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا} [الأنبياء: ٢٢].

فمن تعلق بغير الله تعالى وقدم أي حب على حبه تعالى فهو الشقي

وما في الأرض أشقى من محب ::: وإن وجد الهوى حلو المذاق
تراه باكيا في كل حين ::: مخافة فرقة أو لاشتياق
فيبكي إن نأوا شوقاً إليهم ::: ويبكي إن دنوا خوف الفراق
فتسخن عينه عند الفراق ::: وتسخن عينه عند التلاق

أما علم الذي هذا حاله أن من وجد الله تعالى فقد وجد كل شيء وأن من فاته الله فقد فاته كل شيء والله أولى أن يكون أحب إليه من كل شيء.

المفسد الثاني: كثرة الخلطة بالناس:

إن الأنس ببني آدم وحشة والفرح بهم هم وغم والركون إليهم خيبة وخذلان إلا من رحم الله.

(1) متفق عليه.

فكم جلبت خلطة من نقمة وكم دفعت من نعمة.

وكم أحلت من رزية وكم أوقعت من بلية.

وهل آفة الناس إلا الناس إلا من رحم ربي.

فكم من محبة انقلبت بغضاً وكم من صداقة انقلبت عداوة.

وكم من آمال في الناس خلفت آلاماً.

وكم من صديق غدر... وكم من قريب مكر.

وكم من مبتسم إليك إذا نظر... وإذا غاب عنك عبس وبسر.

ومع هذا كله لا يُعتزل الناس بالكليه وإنما خلطة بقدر، وفى الخير، فقط، كالتعاون على البر والتقوى وكالجمعة والجماعة والحج والأعياد وكتعلم العلم ومجالس الذكر واتباع الجنازة وعيادة المريض والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.... إلى غير ذلك مما أمر به الشرع.

أما فيما دون ذلك من فضول المباحات فالاعتذار عنه أولى فإن كان المسلم لا محالة فاعلا فليكن في الناس حاضراً كالغائب قريبا منهم بعيداً عنهم. معهم بجسده لكن مع الله ﷻ بقلبه وروحه من حيث لم يحتسبوا. أما إذا ما كثر الخبث وطغى الفساد فيكون الحال كما قال النبى ﷺ:**"يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتتبع بها شغف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن -** [1].

ولقد سئل ﷺ عن أفضل الناس قال:**"مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قيل ثم أى قال مؤمن معتزل في شعب من الشعاب يتقي الله ويدع الناس من شره -** [2].

ويقول سعد بن أبى وقاص ﷺ:**"لوددت أن بينى وبين الناس باباً من الحديد لا يكلمنى أحد ولا أكلمه حتى ألحق بالله تعالى -.**

(1) رواه البخاري.
(2) متفق عليه.

ويقول ابن عباس ﷺ:**"لولا مخافة الوسواس لرحلت إلى بلاد لا أنيس فيها وهل يفسد الناس إلا الناس -.**

ويقول أبو الدرداء ﷺ:**"نعم صومعة الرجل بيته يكف فيها بصره ولسانه وإياكم والسوق فإنها تلهى وتلغى -.**

ويقول عمر بن عبد العزيز ﷺ:**"إذا رأيتم الرجل يطيل الصمت ويهرب من الناس فقربوا منه فإنه يلقى الحكمة -.**

ويقول بشر الحافى رحمه الله:**"من عامل الله بصدق استوحش من الناس -.**

وعلى كلٍ فالخلطة بالناس يجب أن تكون بالقدر الذي ينفع الناس ولا يضرك بل ينفعك أيضاً، فإن كنت عالماً فقد قال رسول الله ﷺ:**"والله لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم -** [1]. وإن كنت ممن تقضى حوائج الناس وتسعى في مصالحهم فقد قال الرسول ﷺ:**"الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار -** [2]. وقال:**"لأن أمشى مع أخ في حاجة أحب إليّ من أن أعتكف في هذا المسجد شهراً -** [3].

أما إن كنت لا هذا ولا ذاك فقد قال رسول الله ﷺ:**"أملك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك -** [4]... فانظر في نفسك ماذا ترى؟

المفسد الثالث: كثرة التمني فيما لا يفيد:

من الناس من يقضي عمره كله وهمه الدنيا وكأنه لا فوت، حتى إذا أدركه الموت قال آمنت، فكل أمانيه إما في الجاه أو السلطان، أو التطاول في البنيان، أو التكاثر في الأموال والأولاد، إلى غير ذلك من متع الدنيا التي هي

(1) متفق عليه.
(2) متفق عليه.
(3) رواه الطبراني وحسنه الألباني 176 ص.ج.
(4) رواه الترمذي وصححه الألباني 1392 ص.ج.

إلى نفاد. قال تعالي:{وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ} [النساء: ٣٢].

أما أصحاب الهمم العالية فأمانيهم كلها فيما يقربهم إلى الله ﷻ... وشتان بين أمان وأمان، فإن كنت متمنياً فلتتمن الخير الذي يبقى والذي يعود عليك نفعه في الآخرة ثم اسع إلى تحقيقه جاهداً مستعيناً بالله ﷻ فقد مدح النبي ﷺ متمنى الخير وأخبر أن له من الأجر كأجر فاعله سواءً بسوء حيث قال:**"إنما الدنيا لأربعة نفر عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقاً فهذا بأفضل المنازل وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء -.**

ولا تتمن شراً فتكون كفاعله فتبوء بالإثم بلا نفع في الدنيا ولا حسن عاقبة في الآخرة وذلك قول النبي ﷺ في تكملة الحديث حيث قال:**"وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً فهو يتخبط في ماله بغير علم ولا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقاً فهو بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه مالاً ولا علماً فهو يقول لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فوزرهما سواء -** [1].

المفسد الرابع: كثرة الطعام أو فساده:

والطعام يرجع فساده لأمرين:

إما فاسد في ذاته كالميتة والدم ولحم الخنزير.. وذلك محرم لحق الله ﷻ.

وإما فاسد بحسب مصدره كالمسروق والمغصوب وما أخذ قهراً أو بسيف الحياء... وهذا محّرم لحق العباد. والطعام قد يكون حلالاً طيباً لكن الإسراف فيه يعود على المسرف بما يسوؤه في الدنيا والآخرة.

قال تعالى:{كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} [البقرة: ٦٠].

(1) رواه الترمذي وصححه الألباني 3024 ص.ج.

وقال تعالى:{وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ} [الأعراف: ٣١].

فمن الناس من كل همه في الدنيا طعام وشراب

وأن يملأ جوفه بما لذ وطاب

ناسياً أو متناسياً يوم الحساب

يتمنى أن تتسع بطنه ليضع فيها المزيد

فيتفنن كيف ينّوع الطعام وكيف يجيد

حتى تأتيه سكرة الموت بغتة فيقال

هذا ما كنت منه تحيد

ساعتها فليندم ما شاء، فما من ندم يفيد

المفسد الخامس : كثرة النوم:

إن كثره النوم تثقل البدن وتضيّع الوقت وتورث الكسل وتزيد الغفلة ومن كثر نومه ساء مزاجه وضاقت نفسه. وانفع النوم ما كان عند شدة الحاجة إليه.. وأسوأ النوم ما أرُغمت النفس عليه ولذلك يقال إن النوم سلطان إذا طلبك أراحك وإذا طلبته أتعبك والإقلال من النوم عن الحد اللازم كالإكثار منه كلاهما يفسد البدن فالعدل العدل، فما قام الوجود إلا بالعدل، فابتغ بين الإقلال من النوم والإكثار منه سبيلاً.

فلا تقلل من النوم فيختل ميزانك.

ولا تكثر من النوم فيضيع منك زمانك.

فمن ابتعد عن هذه المفسدات الخمس لاشك يسلم قلبه من كل آفة.

واعلم أن القلوب أوعية وبعضها أوعى من بعض.

واعلم أن القلب لا يجتمع فيه حب النقيضين. فمن أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه، قال تعالى:{ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ } [الأحزاب: ٤].

فأحرص على سلامة قلبك ليوم لا ريب فيه، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

فإن سموت فوق هذه المفسدات فقد نجحت وأفلحت وكنت بفضل الله من الناجين، وإلا فقد ملت عن الميزان وطففت ولقد علمت ما قيل في المطففين، فعجل بتوبة من قريب فإن الله تعالى لا يرد التائبين.

*** ثانيا: فساد الإنسان فيما حوله :**

من عجيب الأمر أن المفسد مع جرم ما يفعل إلا إنه لا يدرك في كل الأحوال أنه مفسد، قال تعالى:{قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا} [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

بل قد يصل الأمر إلى أن يظن نفسه مصلحاً على الرغم من فساده، قال تعالى:{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ} [البقرة: ١١].

حتى ولو كان فساده هذا ظاهراً ظهور الشمس في رابعة النهار فقد يقلب الحقائق باعتقاده الفاسد حتى ليصل الأمر لمثل فرعون عليه لعنة الله أن يظن نفسه مصلحاً وأن موسى عليه السلام إنما جاء ليفسد في الأرض -{وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ} [البقرة: ٢٢٠].

قال تعالى :{وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ} [غافر: ٢٦].

والفساد وإن كان له في الآخرة من الجزاء ما يتناسب مع جرم المفسدين إلا أن لهم في الدنيا ما لهم من الخزى وإن كان عذاب الآخرة أخزى

قال تعالى: {إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}

[المائدة: ٣٣].

والفساد وإن كان كله سوءاً فليس كله سواء فليس من أفسد البشر كمن ألقى في طريق الناس حجر.

لكن أكبر الفساد على الإطلاق - كما يقول ابن القيم رحمه الله - هو القول على الله تعالى بغير علم عمداً بما يمس ذاته أو صفاته أو أفعاله.

وذلك أن الذي يفعل هذا إنما يفسد على الناس عقيدتهم التي من أجلها خلقوا.

حتى أن ذلك أسوأ عاقبة من الشرك بالله تعالى وذلك على عكس ما يعتقد الكثير من الناس فإن كان الشرك ظلماً عظيماً وفساداً كبيراً إلا أن المشرك إنما يكون فساده على نفسه في الغالب.

أما القول على الله تعالى بغير علم وبغير حق فإن صاحبه فاسد في ذاته ويفسد من حوله بقوله - إلا من عصم الله - فجمع بين فساد وإفساد.

ولذلك تأمل قول الله تعالى في بيانه لما حرّم على عباده قال جل شأنه:{ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ }، ثم انتقلت الآيه إلى ماهو أعظم من ذلك حرمة فقال تعالى:{وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ }، ثم انتقلت الآيه إلى ماهو أعظم من ذلك حرمة فقال تعالى:{وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا}، ثم انتقلت الآيه إلى ماهو أعظم من ذلك حرمة فقال تعالى:{وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } [الأعراف: ٣٣].

وذلك أن القائل على الله تعالى بغير علم إنما ينفى ما أثبته الله تعالى ويثبت ما نفاه، ويحق الباطل ويبطل الحق ويصف الله ﷻ بما لا يليق في ذاته وصفاته وأقواله وأفعاله{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا } [الأنعام:٢١].

ثم يتدرج الفساد من قمته هذه إلى أن يصل إلى ذلك الذي يبول في الماء الراكد بل وأدنى من ذلك، وكل مفسد مجزى بقدر ما أفسد.

ذلك أن هذا الكون صنعة الله تعالى الذي أتقنها وزينها للناظرين لا

يحب من أفسد فيه ولا يصلح عمل المفسدين، ولكي تعي هذا انظر في نفسك.

هل تحب أن يهدم أحد الذي بنيت؟ وهل تحب أن يفسد أحد الذي أصلحت؟ فإن كانت الإجابة لا فكذلك الله تعالى لا يحب فاسداً ولا مفسداً وإنما هو سبحانه جميل يحب الجمال فاحرص أن تكون صالحاً في نفسك مصلحاً فيما حولك ما استطعت إلى ذلك سبيلا ولا تفسد ولا تتبع المفسدين سواء في الدنيا أو في الدين.

قال تعالى:{وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ} [الأعراف: ١٤٢].

واعلم أن الله تعالى لا يحقق للمفسدين أملاً ولا يصلح لهم عملاً.

قال تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ} [يونس: ٨١].

واعلم أن الإصلاح مع الإيمان هما النجاة من الحزن والخوف يوم الفزع الأكبر في يوم لا أمان فيه إلا لمن أمنّه الله ﷻ.

قال تعالى:{وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ} [الأنعام: ٤٨].

ثم إن الإصلاح نجاة من الهلاك.

قال تعالى:{وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ} [هود: ١١٧].

وعلاوة على كل هذا فإن أجر المصلحين محفوظ بحفظ الله.

قال تعالى:{إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ} [الأعراف: ١٧٠.

{رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ} [الشعراء: ٨٣].

* * *

الله لا يحب المسرفين

قال تعالى:{يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ} [الأعراف: ٣١].

وقال تعالى:{وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ} [الأنعام: ١٤١].

وقال رسول الله ﷺ:**"كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة** - (1).

والإسراف هو مجاوزة الحد وهو مذموم على كل حال فكل الأمور لها نقطة تكون عندها أكمل ما يكون فما دونها نقص وما فوقها إسراف حتى إن النبي ﷺ لينهى عن الإسراف حتى في ماء الوضوء حتى ولو كان من نهر جار.

ومن ثم كانت أمة الإسلام أمة وسطاً ولعل ذلك ضمن أسباب خيريتها، قال تعالى:{ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ} [البقرة: ١٤٣].

فليست كاليهود ضيّعها التشدد والغلو بغير حق وليست كالنصارى ضيّعها التهاون والتفريط بغير حق كذلك فكلا طرفي الأمور ذميم.

قال تعالى:{ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا} [الفرقان: ٦٧].

ولعل الذي يقود إلي الإسراف أن يتبع الإنسان نفسه هواها في كل ما تشتهي، ذلك أن النفس دائماً تواقة للمزيد حتى وإن كان هذا المزيد فيه بؤسها وشقاؤها أو حتى هلاكها، ولذلك يروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يسير يوماً في السوق مع صاحب له فاستوقفه هذا الصاحب

(1) رواه النسائي وصححه الألباني 4505 ص.ج.

يشتري شيئاً ما فتوقف عمر لأجله ثم سارا وبعد قليل استوقفه صاحبه ليشتري شيئاً آخر فقال له عمر متسائلاً متعجباً:

أأنت كلما اشتهيت اشتريت؟

فقال له صاحبه: نعم مادمت أملك أن أشتري ما أشتهي فقال عمر ﷺ: ما هكذا علمنا رسول الله ﷺ.

نعم فقد كان رسول الله ﷺ لا يطلب طعاماً بذاته وإنما كان إذا قدم إليه الطعام فإذا ما اشتهاه أكل منه وإلا ما عابه وما ازدراه، هذا عن نوعية طعامه أما عن قدره فلقد مات ﷺ وما شبع من خبز الشعير قط.

وكيف لا وهو القائل:**"ما ملأ ابن آدم وعاء شر من بطنه بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فاعلاً فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه -** [1].

ولذلك يروى عن لقمان الحكيم أنه قال:**"بني لا تأكل شبعاً على شبع فإنك إن تنبذه للكلب خير لك -.**

ولذلك يقول الإمام الشيباني رحمه الله: الحال في الطعام على أربعة أوجه:

الأول: مقدار ما يسد به الرمق ويتقوى به على الطاعة فهو مثاب غير معاقب.

الثاني: مازاد إلى حد الشبع فهو مباح محاسب عليه حساباً يسيراً بالعرض.

الثالث: ما كان قضاء للشهوات ونيلاً للذات من الحلال فهو مرخص به محاسب عليه.

الرابع: ما زاد على الشبع فهو حرام.

(1) رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني 5674 ص.ج.

لكن النفس قد تشتهي ما فيه هلاكها وترغب فيما فيه فسادها، وليت عاقبة الإسراف في الطعام قاصرة على الدنيا وحسب من علل وأسقام وكرب وآلام ولكن الأمر يصل إلى الآخرة فيضر بها أيما ضرر فالنفس لكي تطيع لابد وأن تكون مهيأة لهذه الطاعة فإن لم تكن مهيأة فهي كالميتة لا تسمع ولا تجيب ولسان حالها:

لقد اسمعت لو ناديت حياً ::: ولكن لا حياة لمن تنادي

ولذلك يروي أن إبليس عليه لعنة الله عرض ليحيى بن زكريا عليهما السلام، فقال له يحيى: هل نلت مني شيئاً قط؟

قال: لا إلا أنه قدم إليك الطعام فشهيته إليك حتى شبعت فنمت عن وردك.

فقال يحيى عليه السلام : لله عليّ ألا أشبع من طعام أبداً.

فقال: إبليس - عليه لعنة الله -: وأنا لله عليّ ألا أنصح آدمياً أبداً.

ولذلك فمن اقتضت مشيئة الله أن يكون رزقه كفافاً فإنما هو في فضل من الله عظيم على أن يكون قانعاً بذلك راضياً به وتلك بشارة النبي ﷺ : **"طوبى لمن هدى إلى الإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به** - [1].

ويروى عن موسى عليه السلام أنه سأل ربه تعالى، فقال: أي عبد أغنى؟ فقال الله: أقنعهم بما أعطيته.

قال: فأيهم أعدل؟ فقال الله: من انتصف من نفسه.

فطوبى لمن أيقن أن قليلاً يكفيه خير من كثير يطغيه، وما أحسن قول القائل:

العيش ساعات تمر ::: وخطوب أيام تكر
اقنع بعيشك ترضه ::: واترك هواك فأنت حر
فلرب حتف ساقه ::: ذهب ويا قوت ودر

(1) رواه الترمذي والحاكم وصححه الألباني 3931 ص.ج.

فعجباً لمن يأكل وكأنما خلق للتسمين!... ويلبس وكأنما خلق للتزيين ويبني وكأنما خلق للخلود...

ويجمع المال وكأنما لا موت ولا قبر ولا دود

أو كأنه باق أبداً وإلى الله لا يعود.

وإنا لنرى أن من بسط يديه كل البسط في زمن لابد وأن يأتيه يوم تغل فيه يده إلى عنقه رغماً عنه.

فمن أسرف في مأكل أو مشرب لابد وأن يأتي عليه زمن يحال بينه وبين ما يشتهي سواءً لفقر أو لمرض - إلا ما شاء الله -.

ومن أسرف في لباس فقد يأتيه زمن لا يجد فيه ما يواري به سوأته - إلا ما شاء الله -

وإنا لنرى أن نصيب الإنسان من نعم الله ﷻ مقدر فمن استنفد ما قدر له في زمن دون الأولى فربما يأتي عليه زمن ولا نصيب له إلا الحسرة على ما ضيع في الأيام الخوالي.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن كل نعمة أنعم الله ﷻ بها على الإنسان إنما هي أمانة. وأداء الأمانة يستوجب أن توضع النعمة في موضعها وبالقدر الذي لا تنقلب فيه إلى نقمة وإلا حوسب صاحبها ومن حوسب عُذب.

ثم إن متع الدنيا لابد وأن تنتقص من متع الآخرة فلا يستوي الذي يأكل ما يريد وقت ما يريد مع الذي لايأكل إلا الذي يقيم به حياته.

ولا يستوي الذي يشرب ما يشتهي وقت ما يشتهي مع الذي لا يشرب إلا الذي يساق إليه كالأرض تماماً بتمام. ولا يستوي الذي يلبس ما يتمنى وقت ما يتمنى مع الذي يلبس فقط ما يحفظ آدميته.

فليخش أُناس أن ينادي عليهم يوم القيامة:{أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ

نَفْسُقُونَ} [الأحقاف: ٢٠].

وهذا كله عن الإسراف فيما أصله مباح من طعام وشراب ولباس فما بال المسرفين في الذنوب والآثام وما بال المسرفين في الكذب والافتراء وما بال المسرفين في الغيبة والنميمة... ؟

أما سمعوا نداء الرب الرحيم:{قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ} [الزمر: ٥٣ - ٥٨].

فمن استجاب للنداء فقد فاز فوزاً عظيماً ومن أعرض واستكبر وسخر واستنكر فأمامه كذلك عواقب عظيمة، ومن هذه العواقب:

*** عدم حب الله تعالى:**

إن الفطن من الناس ليمنع نفسه مما يحب مخافة أن تكون العاقبة مما يكره فكيف والإسراف ليس عاقبته ما تكرهه أنت ولكن ما يكرهه الله ﷻ، ناهيك عن عدم حب الله للمسرفين، قال تعالي:{إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ} [الأنعام: ١٤١]، ومن حُرم حب الله فقد حرم الخير كله وباء بالشر كله.

*** عدم الهداية:**

وذلك بما ترك المسرف على نفسه، نفسه لشهواتها ونزواتها تتحكم فيه وكأنه صار لها عبداً وكأنها صارت له آلهة من دون الله، قال تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ} [غافر: ٢٨].

وقال تعالى:{كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ} [غافر: ٣٤].

*** إخوة الشياطين:**

فإن لم تكن إخوة نسب فهي إخوة شبه في الفعال والخصال.

ثم هي إخوة شبه في المرجع والمآل...

وهي إخوة سوء على كل حال. قال تعالى:{ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا } [الإسراء:٢٧].

*** الحسرة يوم الحسرة:**

وحسرة المسرف حسرتان، حسرة في الدنيا من عاقبة إسرافه وأخرى في أخراه وهي أدهى وأمر، أما التي في دنياه فقال تعالى:{ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا } [الإسراء: ٢٩].

وأما التي في آخرته فيكفيه قول النبي ﷺ:**"لا تزول قدما عبد حتى يُسأل عن أربع، عن عمره فيما أفناه وعن علمه ما فعل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيم أبلاه -** (1).

ومن أين للمسرفين بجواب صواب وقد قال الله تعالى:{وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ} [غافر: ٤٣].

وهذا رسول الله ﷺ يبشر:**"يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك وإن تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى -** (2).

{رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ} [المؤمنون: ٢٩].

* * *

(1) رواه الترمذي وصححه الألباني 7300 ص.ج.
(2) رواه مسلم.

الله لا يحب المعتدين

قال تعالى:{وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ} [البقرة: ١٩٠].

وقال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ} [المائدة: ٨٧].

وقال تعالى:{ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ} [الأعراف: ٥٥].

وقال رسول الله ﷺ:**"لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجماء من الشاه القرناء -** (1).

وقال ﷺ:**"يخلص المؤمنون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم بدخول الجنة -** (2).

وقال ﷺ:**"إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار -** (3).

وقال ﷺ:**"إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدود فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها -** (4).

والعدوان نوعان: عدوان: على حدود الله، وعدوان: على عباد الله.

أما العدوان الذي على حدود الله فهو الذي قال الله تعالى فيه:{تِلۡكَ

(1) رواه مسلم.
(2) رواه البخاري.
(3) رواه مسلم.
(4) رواه الدارقطني وقال: حديث حسن.

حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ} [البقرة: ٢٢٩].

كما إذا تعدى العبد ما أبيح له من الوطأ الحلال في الأزواج إلى ما حرم عليه من الزنا قال تعالى:{وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ} [المؤمنون: ٥ - ٧].

أما الاعتداء على عباد الله فهو كل اعتداء مادى أو معنوى على نفس أو ما ملكت إلا ما كان أخذاً للحق وبضوابط بينها الدين.

قال تعالى:{فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ} [البقرة: ١٩٤].

وقال تعالى:{وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَاۖ} [الشورى: ٤٠].

على أن الاعتداء بالمثل أو مقابلة السيئة بالسيئة إنما يكون مع من لا يصلحه العفو ولا ينفع معه صفح ولا صبر.

قال تعالى:{وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ} [الشورى: ٤٣].

وقال تعالى:{فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ} [الشورى: ٤٠].

وقال تعالى:{وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [التغابن: ١٤].

ولأن الجزاء من جنس العمل فإن العفو عن العباد والصفح عنهم يفتح باب عفو الله جل وعلا وذلك مع كونك ضعيفاً عاجزاً ومع كون الله قوياً قديراً. قال تعالى:{إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا} [النساء: ١٤٩].

أما أن يبتدئ المسلم معتدياً فهذا ليس من شيم المسلمين ولا من أخلاقهم ولا هى من طبيعة الإسلام وهو خلق لا يحل لمسلم بأى حال فقد

قال رسول الله ﷺ:"**لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً** - [1].

وقال ﷺ:"**لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس** - [2].

وقال ﷺ:"**لا تسبن أحداً** - [3].

وقال ﷺ:"**لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره. التقوى ههنا – وأشار ثلاثاً إلى صدره – بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم علي المسلم حرام دمه وماله وعرضه** - [4].

وقال ﷺ:"**كف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك** - [5].

وقال ﷺ:"**لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق** - [6].

وقال ﷺ:"**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك** - [7].

وتأمل كيف أن مجرد سوء الظن هو إيذاء واعتداء بل إن الأمر ليصل إلى المكان الذي تجلس فيه فإن كان يؤذى غيرك فلا تجلس فيه.

قال رسول الله ﷺ:"**إياكم والجلوس على الطرقات فإن أبيتم إلا المجالس فأعطوا الطريق حقها، غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر** - [8].

ثم يجمع النبى ﷺ ذلك كله في حديث جامع يقول فيه:"**إياك وكل أمر**

(1) رواه أبو داود وصححه الألباني 7658 ص.ج.
(2) رواه أبو داود وصححه الألباني 7662 ص.ج.
(3) رواه أبو داود وصححه الألباني 7309 ص.ج.
(4) رواه مسلم.
(5) رواه مسلم.
(6) رواه ابن ماجه وصححه الألباني 5078 ص.ج.
(7) متفق عليه.
(8) متفق عليه.

يُعتذر منه - [1].

وإن أردت مثلاً وقدوة حسنة في الصفح والعفو فمن لك إلا النبى ﷺ.

فقد لاقى من الاعتداء والإيذاء ما لم يتحمله أحد غيره فقد قال ﷺ: **"لقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد وأخفت في الله وما يخاف أحد -** [2].

ولما أمكنه الله جل وعلا من المعتدين ما كان منه إلا أن قال لهم:**"لا تثريب عليكم اذهبوا فأنتم الطلقاء -** [3].

ولم لا وقد أمره ربه تبارك وتعالى بذلك قائلاً:{وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ} [الحجر: ٨٥].

فصفح وعفا ودعى ربه قائلاً:**"اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفو عني -** [4].

وإن سألت عن أصحابه ﷺ فهذا أبو بكر الصديق ﷺ لما أراد أن يأخذ ببعض حقه ممن رمى ابنته الصديقة - رضي الله عنها - بالبهتان كذباً وزوراً وافتراء بأن يمنعه عطاء كان يعطيه إياه تفضلاً وكرماً. فأنزل الله جل وعلا قرآناً يعاتبه ويبشره أن العفو جزاؤه العفو والصفح جزاؤه الصفح وشتان بين عفو عبد عن عبد مثله وعفو مالك الملك وخالق الخلق جل وعلا.

قال تعالى:{ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [النور: ٢٢].

فلما سمع الصديق ﷺ الآية بكى وقال بلى أحب أن يغفر الله لى، وعاد إلى ما كان عليه من عطاء وصفح عن المعتدى، وقد ذهب غيظه وهدأت نفسه واطمأن قلبه ولبى أمر ربه ولم يجب نفسه إلى هواها

(1) صحيح الجامع 2671 وحسنه الألباني.
(2) رواه الترمذي وصححه الألباني 5125 ص.ج.
(3) رواه البخاري.
(4) رواه الحاكم وابن ماجه.

بالانتقام ممن اعتدى عليه. كل ذلك راجياً عفو ربه وصفحه بما عفا وصفح{فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ} [الشورى:٤٠].

ولقد روى عن على بن الحسين بن علىّ رضي الله عنهم أنه قال: إذا كان يوم القيامة نادي مناد..أيكم أهل الفضل؟ فيقوم ناس من الناس، فيقال: انطلقوا إلى الجنة، فتتلقاهم الملائكه، فيقولون: إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنة، قالوا: قبل الحساب؟! قالوا: نعم، قالوا: من أنتم؟ قالوا: أهل الفضل، قالوا: وما كان فضلكم؟ قالوا: كنا إذا جُهل علينا حلمنا وإذا ظُلمنا صبرنا وإذا أُسيء إلينا عفونا، قالوا: ادخلوا الجنه فنعم أجر العاملين.

فما بال الذين يتجبرون على الناس.

ويتسلطون عليهم بعافية وهبها رب الناس.

يؤذون هذا ويضربون هذا ويعتدون على الناس.

يتباهون بعارية مستردة..

أما يعلمون أن هناك عودة؟

أما يعلمون أنه آتيهم يوم تسلب منهم العافيه.

يوم تسلب فيه أرواحهم كما تسلب من الصوف الشوكة العاصيه.

ثم يلْقون في القبر وبعد أيام هم عظام بالية.

ثم يقومون للعرض على الديان الذي لا يترك قاصية ولا دانية.

ولا صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها كما هى.

ساعتها ينادى: ياليتنى لم أوت كتابيه

ساعتها ينادى: ما أغنى عنى ماليه

ساعتها ينادى: هلك عنى سلطانيه

ساعتها لو يصير تراباً فتلك غاية غاليه

فلا يجاب إلا أن يوفى بما كان منه في الأيام الخالية.

بالجزاء الأوفى في الدار الباقية

فالحذر كل الحذر فحقوق العباد حائل بين الجنة وبين المعتدى إلا أن يوفى

فإذا ما غرتك قوتك وغرك جاهك

فتفكر بعد حين من الزمان كيف مآلك

فعش ما شئت فإنك لا محالة هالك

ثم اسأل أهل القبور.... وما قد عراهم ياترى

وهل بعد ما كانوا في أهل ومال وعافيه

هل آثروا الوحدة وافتراش الثرى؟

لو أخبروك بحالهم ومآلهم

أبكاك دهرك وما عليهم قد جرى

فقد أفناهم من ليس يفنى ملكه

ذو البطشة الكبرى إذا أخذ القرى

{رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ } [الأعراف: ٨٩].

* * *

الله لا يحب الظالمين

قال تعالى:{ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ } [آل عمران: ٥٧].

وقال تعالى:{إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ} [آل عمران: ١٤٠].

وقال تعالى:{ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ} [الشورى: ٤٠].

ويقول رسول الله ﷺ فيما يرويه عن رب العزة سبحانه:**"ياعبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا** - (1).

وقال ﷺ:**"من أعان على خصومة بظلم لم يزل في سخط الله حتى ينزع** - (2)، والظلم ليس محرماً بين المسلمين وبعضهم البعض فقط وإنما محرم على إطلاقه بل لو كان هذا الظلم في حق فاجر أو حتى في حق كافر فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال:**"دعوة المظلوم مستجابه وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه** - (3).

وقال ﷺ:**"إياكم ودعوة المظلوم وإن كانت من كافر فإنه ليس لها حجاب دون الله ﷻ** - (4).

بل إن الأمر أبعد من ذلك فقد حرّم الله ظلم الحيوان سواء كان ذلك بتجويعه أو بتحميله ما لا يطيق من العمل فلقد شكى جمل إلى رسول الله ﷺ فقال لصاحب الجمل:**"ألا تتقى الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها فإنه**

(1) رواه مسلم.
(2) رواه ابن ماجه وصححه الألباني 6049 ص.ج.
(3) رواه الطيالسي وحسنه الألباني 3382 ص.ج.
(4) رواه أحمد وحسنه الألباني 119 ص.ج.

قد شكاك إليّ وزعم أنك تجيعه وتدئبه - [1].

وأخبر ﷺ عن امرأه:**"دخلت النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت - [2].**

فالظلم كله محرم كبيره وصغيره وفى حق أى كائن كان ومن ثم كانت دعوة المظلوم لها عند الله شأن.

قال رسول الله ﷺ:**"اتقوا دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب يرفعها الله فوق الغمام ويقول لها: وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين - [3].**

وقال ﷺ:**"اتق دعوة المظلوم فإنها تصعد إلي السماء كأنها شرارة - [4].**

وحق المظلوم لن يضيع ولو حسبه الظالم شيئاً يسيراً فقد قال رسول الله ﷺ:**"من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة فقال: رجل وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ فقال: وإن كان قضيباً من أراك -[5].**

وحق المظلوم لن يضيع ولو حكم القاضى للظالم فلن يُعفى من العقاب فقد قال رسول الله ﷺ:**"إنما أنا بشر- وإنكم تختصمون إليّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له بنحو ماأسمع فما قضيت له بحق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار - [6].**

والظلم ثلاثه أنواع يبينها رسول الله ﷺ قائلاً:**"الظلم ثلاثة فظلم لا يغفره الله وظلم يغفره وظلم لا يتركه فأما الظلم الذي لا يغفره الله فالشرك، قال الله:**

(1) رواه أحمد في مسنده.
(2) متفق عليه.
(3) رواه الطبراني وصححه الألباني 117 ص.ج.
(4) رواه الحاكم وصححه الألباني 118 ص.ج.
(5) رواه مسلم.
(6) متفق عليه.

{إن الشرك لظلم عظيم} ، وأما الظلم الذي يغفره فظلم العباد أنفسهم فيما بينهم وبين ربهم وأما الظلم الذي لا يتركه فظلم العباد بعضهم بعضاً حتى يدبر لبعضهم من بعض - (1).

وفي النوع الآخير يقول رسول الله ﷺ:"**من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه** - (2).

فالأمر ليس هيناً فهذا رسول الله وهو من هو يقول:"**إني لأرجو أن أفارقكم ولا يطلبني أحد منكم بمظلمة ظلمته** - (3).

فما بال الذين يحملون مظالم تئن من حملها الجبال الرواسي في يوم دعوى الرسل فيه يارب سلم سلم، فقد قال رسول الله ﷺ:"**من أخذ من الأرض شيئاً ظلماً جاء يوم القيامة يحمل ترابها إلى المحشر** - (4).

وقس على ذلك كل ما يؤخذ ظلماً من حقوق الناس قل أو كثر.

صور الظلم:

ليس في الإمكان حصر صور الظلم فهي أكثر من أن تحصى متدرجة ما بين الشرك بالله وهو الظلم العظيم إلى أن تصل إلى الإسراف في ماء الوضوء حيث قال النبي ﷺ:"**من زاد على ثلاث فقد ظلم** - (5)، وقد يصل الظلم إلى أقل من ذلك بكثير.

- ومن صور الظلم أن تطلب التعظيم والتوقير لنفسك من الناس وأنت لست أهلاً له وفي ذات الوقت قلبك خالي من تعظيم الله تعالى وتوقيره بما

(1) رواه الطيالسي وحسنه الألباني 3961 ص.ج.
(2) رواه البخاري.
(3) رواه ابن ماجه وصححه الألباني 2480 ص.ج.
(4) رواه أحمد وصححه الألباني 5984 ص.ج.
(5) رواه النسائي وحسنه الألباني 7015 ص.ج.

هو أهله.

- **ومن الظلم**: أن تسمع من يفتري على الله تعالى ما لا يليق بجلاله وكماله فلا تنكر ذلك بكل ما تستطيع وعدم الإنكار إقرار والمقر والمفتري على الله الكذب سواء بسواء وقد قال الله تعالى:{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ } [العنكبوت: ٦٨].

- **ومن الظلم**: أن تعلم الحق كوضح النهار وتميل عنه إلى سواه لأجل غاية في النفس يأباها الله أو خشية للناس والله أحق أن تخشاه، قال تعالى: {وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ } [النمل: ١٤].

- **ومن الظلم**: السكوت على الظالم وترك المظلوم دون عون ولا نصرة، قال الله تعالى في الحديث القدسي:**"لأنتقمن من الظالم في عاجله وآجله ولأنتقمن ممن رأى مظلوماً فقدر أن ينصره ولم ينصره -** (1).

- **ومن الظلم**: عون الظالم على ظلمه، قال رسول الله ﷺ:**"من أعان ظالماً ليدحض بباطله حقاً فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله -** (2).

- **ومن الظلم**: كتمان شهادة الحق ومن ثم تضيع الحقوق وتنقلب الموازين، قال تعالى:{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [البقرة: ١٤٠].

- **ومن الظلم**: أن يُؤخر حق عن صاحبه من قادر على أدائه حتى ولو أداه بعد حين فقد قال رسول الله ﷺ:**"مطل الغنى ظلم -** (3)، فما بال الذي ينكر بعض الحق فذلك أظلم ثم ما بال الذي ينكر الحق كله فذلك أظلم وأظلم.

- **ومن الظلم**: أن يضيّع الراعى رعيته وأن يخون فيهم أمانته قال

(1) رواه ابن حبان.
(2) رواه الحاكم.
(3) متفق عليه.

رسول الله ﷺ:"**صنفان من أمتي لا تنالهم شفاعتي إمام ظلوم غشوم وكل عال مارق** -[1]. إلى غير ذلك من صور الظلم التي لا تحصى.

عواقب الظلم:

لاشك أن الظالمين هم الأخسرون يوم القيامة غير أن جزاءهم ليس قاصراً على الآخرة فحسب بل في الدنيا كذلك بما تقتضي حكمة الله البالغة وحتى لا يغتر الظالمون بحلم الله تعالى فالله أقسم لينتقمن من الظالم في عاجله وفي آجله. فالظالمون لا يحول بينهم وبين عقاب الله حائل، قال تعالى: {وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ} [الحج: ٤٨].

وقال رسول الله ﷺ:"**إن الله تعالى ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته** - [2].

فقد يكون من بعض عقاب الظالمين أن يولي الله عليهم أمثالهم ليذيقيهم بعض الذي عملوا، قال تعالى:{وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [الأنعام: ١٢٩].

وذلك حتى يُسقى الظالم من الكأس الذي طالما كان للناس يسيقه ويُرمي بالسهم الذي طالما كان بالناس يرميه.

وقد يكون من بعض عقاب الظالمين خراباً يحل عليهم من كل مكان فإن كان العدل أساس الملك فالظلم سبيل خرابه وفنائه، قال تعالى:{ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ} [الحج: ٤٥].

وقال تعالى:{وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا} [الكهف: ٥٩].

وقال تعالى:{فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [النمل: ٥٢].

---

(1) رواه الطبراني وحسنه الألباني 3798 ص.ج.
(2) متفق عليه.

وقد يكون من بعض عقاب الظالمين ما يلاقون عند الموت من شدة وسوء خاتمة وكرب دونه كل الكروب، قال تعالى:{وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ} [الأنعام: ٩٣].

ثم العقاب الأوفى يوم القيامة، يومها لا تنفع معذرة، قال تعالى:{يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ} [غافر: ٥٢].

يومها لا تقبل لهم ولا منهم شفاعة، قال تعالى:{مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ} [غافر: ١٨].

يومها ليس لهم إلا الخيبة والخذلان، قال تعالى:{وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا} [طه: ١١١].

يومها ليس لهم إلا الحسرة والندم، قال تعالى:{وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا} [الفرقان: ٢٧ - ٢٨].

نعم ليس لهم يومها إلا الحسرة والندم والذل، قال تعالى:{وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ} [الشورى: ٤٤ - ٤٥]، بل إن العاقبة قد تصل إلى من رضى بظلم الظالمين وإلى من رأى مظلوماً ولم ينصره وهو علي ذلك قادر وإلى من أقام في أرض ظلم وهو راض هادئ البال مطمئن النفس.

قال تعالى:{ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ } [الأنفال: ٢٥].

وقال تعالى:{ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ } [هود:١١٣].

وقال الله في الحديث القدسي: **"لأنتقمن ممن رأى مظلوماً فقدر أن ينصره ولم ينصره** - [1]، هذا لمن رأى ورضى فما بال الظالم؟

فلا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً ::: فالظلم ترجع عقباه إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه ::: يدعو عليك وعين الله لم تنم

فلقد طغى الظلم وأهله حتى أصبح العدل غريباً كالدين تماماً فأصبحنا بين غربتين غربة الدين وغربة العدل.

وإني لأتساءل:

إلى متى لا نرى عدلاً نُسر به ::: ولا نرى لولاة الحق أعوانا
مستمسكين بحق قائمين به ::: إذا تلون أهل الظلم ألوانا

أما وقد صرنا في زمن نرى فيه كل يوم ألف حجاج فهذه حكاية عنه لأولي الألباب فإن الخاسر من لم يتعظ بغيره.

يحكى أن الحجاج بن يوسف الثقفي - وكان مشتهراً بالظلم - حبس رجلاً في محبسه ظلماً فكتب إليه السجين رقعة قال فيها.

قد مضى من بؤسنا أيام ومن نعيمك أيام والموعد القيامة والسجن جهنم والحاكم يومئذ لا يحتاج إلى بينة.

ثم كتب في آخرها:

أما والله إن الظلم لؤم ::: وما زال الظلوم هو الملوم
ستعلم يا نؤوم إذا التقينا ::: غداً عند الإله من الظلوم
سينقطع التلذذ عن أناس ::: أداموه وينقطع النعيم
إلى الديان يوم الدين نمضي ::: وعند الله تجتمع الخصوم

نعم إن للظالمين يوماً تنكس فيه رؤوسهم وتشخص فيه أبصارهم ولا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم يومئذ هواء.

نعم إن للظالمين يوماً توفى فيه الحقوق وتقضي فيه الديون وهم

(1) رواه بن حبان.

يومئذ لا يملكون ديناراً ولا درهماً ولا نقيراً ولا قطميراً.

نعم إن للظالمين يوماً يعضون فيه على أيديهم نادمين حين لا ينفع ندم معتذرين حين لاتقبل معذرة.

يوماً لا يظلم فيه الظالمون على الرغم من ظلمهم،{وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا } [الكهف: ٤٩]، وإنما ينالهم قسط الله وعدله، قال تعالى:{وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ۗ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ } [يونس: ٥٤]، فسبحان من عامل المحسنين بفضله وعامل الظالمين بعدله.

وختاماً قال رسول الله ﷺ:**"إن الله لا يقدس أمة لا يأخذ الضعيف فيها حقه من القوى غير متعتع -** [1].

{رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [يونس: ٨٥].

* * *

(1) رواه البيهقي في سننه وصححه الألباني 1857 ص.ج.

الله لا يحب الخائنين

قال تعالى:{وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا } [النساء: ١٠٧].

وقال تعالى:{ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ} [الأنفال: ٥٨].

وقال تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ } [الحج: ٣٨].

وقال رسول الله ﷺ:**"المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه -** (1).

وقال ﷺ:**"يطبع المؤمن علي كل شيء إلا الخيانة والكذب -** (2).

وقال ﷺ:**"المكر والخديعة والخيانة في النار -** (3).

وقال ﷺ:**"آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان -** (4).

إن من أسوأ الصفات التي يمكن أن يتصف بها إنسان صفة الخيانة بما فيها من نقض للعهد وإخلاف للوعد وخداع ومكر وتلون وغدر، وأسوأها على الإطلاق ما كان في حق الله ورسوله.

قال تعالى:{ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } [الأنفال: ٧١].

فإذا ما قال الله تعالى:{فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ} [البقرة: ٢٨٣].

---

(1) رواه الترمذي وصححه الألباني 6706 ص.ج.
(2) رواه البيهقي.
(3) رواه أبو داود وحسنه الألباني 6726 ص.ج.
(4) متفق عليه.

ليس هذا في حق الناس وحسب بل في حق الله ورسوله أولى، وإذا ما قال الله تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا} [النساء: ٥٨].

ليس هذا أيضاً في حق الناس وحسب ولكن في حق الله ورسوله أولى، وأمانة الله التي ائتمنك عليها هي كل ما وهبك من نعم في الدين والنفس والعقل والنسل والمال سواءً ما كان لك أو للآخرين، وأمانة النبي ﷺ هي سنته من عبادات ومعاملات أقوالاً وأفعالاً ظاهراً وباطناً.

ومن خان الرسول فقد خان الله لأنها أمانة واحدة وهي التي قال الله تعالى عنها:{ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا } [الأحزاب: ٧٢].

فمن قام بالأمانة ظاهراً وخان باطناً فأولئك المنافقون، ومن ترك الأمانة ظاهراً وباطناً هم فأولئك المشركون، ومن قام بالأمانة ظاهراً وباطناً فأولئك هم المؤمنون.

ولذلك يعقب الله تعالى على آية الأمانة بقوله تعالى:{لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا } [الأحزاب: ٧٣].

أما خيانة الناس فتكون بنقض عهدهم وخلف وعدهم والغدر بهم من حيث آمنوا وتضييع ودائعهم وإفشاء أسرارهم، فقد قال رسول الله ﷺ:**"إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهي أمانة -** (1).

ومن أشار على صاحبه بغير الصواب فقد خانه، فقد قال رسول الله ﷺ: **"من أفتى بغير علم كان إثمه على من أفتاه ومن أشار على أخيه بأمر يعلم أن الرشد في غيره فقد خانه -** (2)، وقال ﷺ:**"المستشار مؤتمن -** (3).

وليس أشد خيانة للناس وغدراً من رجل يلي أمرهم فلا يؤدي الذي

(1) رواه أبو داود والترمذي وحسنه الألباني 486 ص.ج.
(2) رواه أبو داود والحاكم وحسنه الألباني 6068 ص.ج.
(3) رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني 6700 ص.ج.

عليه، فقد قال رسول الله ﷺ:"**من ولى من أمر المسلمين شيئاً فاحتجب دون خلتهم وحاجتهم وفقرهم وفاقتهم احتجب الله عنه يوم القيامة دون خلته وحاجته وفاقته وفقره** - [1].

وقال ﷺ:"**ما من إمام أو وال يغلق بابه دون ذوي الحاجة والخلة والمسكنة إلا أغلق الله أبواب السماء دون خلته وحاجته ومسكنته** - [2]، فالجزاء من جنس العمل.

فاحتجاب دون ما يرجو في الآخرة وإغلاق لأبواب السماء دون ما يرجو في الدنيا ويأتي يوم القيامة في حال دون حال الناس يداه مغلولة إلى عنقه نادماً أسفاً.

فقد قال رسول الله ﷺ:"**ما من أمير عشرة إلا وهو يُؤتى به يوم القيامة مغلولاً يفكه العدل أو يوبقه الجور** - [3].

وقال ﷺ:"**ما من رجل يلي أمر عشرة فما فوق إلا أتى الله مغلولاً يده إلى عنقه فكه بره أو أوثقه إثمه أولها ملامة وأوسطها ندامة وآخرها خزي يوم القيامة** - [4].

فما بال الذي يلي أمر أمة ويموت يوم يموت وهو غاش خائن لهم فإن الله قد حرم عليه الجنة وينصب له يوم القيامة لواء غدر يعرف به.

قال رسول الله ﷺ:"**لكل غادر لواء يوم القيامة بقدر غدرته ألا ولا غادر أعظم غدراً من أمير عامة** - [5].

فإذا كانت الخيانة مذمومة من رجل لرجل فما بال الذي يخون أمة من الناس في دينهم ودنياهم، إن له يوم القيامة لشأناً قال ﷺ:"**ما من عبد**

(1) رواه ابن ماجه والحاكم وصححه الألباني 6595 ص.ج.
(2) رواه الترمذي وصححه الألباني 5685 ص.ج.
(3) رواه البيهقي في سننه وصححه الألباني 6596 ص.ج.
(4) رواه أحمد في مسنده وحسنه الألباني 5718 ص.ج.
(5) رواه مسلم.

يسترعيه الله على رعيته فيموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة - [1].

وقال ﷺ:**"من ولى من أمر المسلمين شيئاً فأمّر أحداً محاباة فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم -**[2].

*** متى تباح الخيانة؟**

إنّا لنجد في كثير مما نهى الشرع عنه عذراً أو أعذاراً لإتيانه عند الضرورة التي تقدر بقدرها، فأما الكذب مثلاً فقد قال رسول الله ﷺ:**"ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ويقول خيراً وينمي خيراً -** [3].

وقال ﷺ:**"لا أعده كاذباً: الرجل يصلح بين الناس يقول القول لا يريد به إلا الإصلاح والرجل يقول في الحرب والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها -** [4].

وأما أكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به حال الاضطرار فيقول عنها ﷻ:{فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [النحل: ١١٥].

وأما الاعتداء على المعتدي فقال تعالى:{فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ} [البقرة: ١٩٤].

حتى النطق بكلمة الكفر تحت الإكراه يقول عنها ربنا ﷻ:{ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [النحل: ١٠٦].

أما الخيانة فلا نجد لها عذراً ولا مبرراً حتى في أظهر ما يظن وجود العذر والمبرر وهو أن يخونك خائن، وفي ذلك يقول النبي ﷺ:**"أد الأمانة**

(1) متفق عليه.
(2) رواه أحمد والحاكم.
(3) متفق عليه.
(4) رواه أبو داود وصححه الألباني 7170 ص.ج.

إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك - [1].

سبحان الله... حتى من يخونك لا يحل لك خيانته، إلى هذه الدرجة الخيانة خلق ذميم تأباه النفوس السوية فلا يوجد عذراً ولا مبرراً لإتيانه حتى مع أهله من الخائنين.

وليس أعجب مما يرويه حذيفة بن اليمان ﷺ يقول: ما منعني أن أشهد بدراً إلا أني خرجت أنا وأبو حسيل فأخذنا كفار قريش وقالوا: إنكم تريدون محمداً فقلنا ما نريده ما نريد إلا المدينة فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة ولا نقاتل معه فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه الخبر فقال:"**انصرفا نفي لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم** - [2].

فأي خلق أعظم من هذا الخلق وأي دين أتم وأكمل من هذا الدين؟ يأبى رسول الله ﷺ إلا أن يفي أصحابه بعهودهم ومواثيقهم حتى مع قوم كافرين. فلك الحمد ربنا أن جعلتنا مسلمين ومن أمة هذا النبي الأمين.

وإن كان عجيب ما أسلفنا فإن ما يرويه رسول الله ﷺ عن رجل من الأمم السابقة لعجيب أيضاً حيث قال:"**اشترى رجل من رجل عقاراً له فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرة فيها ذهب فقال الذي اشترى العقار خذ ذهبك مني إنما اشتريت منك الأرض ولم أبتع الذهب وقال الذي له الأرض إنما بعتك الأرض بما فيها... فتحاكما إلى رجل فقال الذي تحاكما إليه: ألكما ولد؟ قال أحدهما: لي غلام وقال الآخر: لي جارية قال: انكحوا الغلام الجارية وأنفقوا على أنفسكما منه وتصدقوا** - [3]. واعجباه.

أين هذا مما عليه الناس الآن؟ بل أين هذا مما نحن عليه الآن؟

إن الأمانة والإيمان متلازمان كما أن العهد والدين متلازمان فإذا ذهبت الأولى فالثانية على إثرها.

---

(1) رواه البخاري.
(2) رواه مسلم.
(3) متفق عليه.

فقد قال رسول الله ﷺ:**"لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له -**[1].

فما أقبح وما أسوأ أن تطمئن إلى إنسان فيغدر بك ويخونك ولذلك يقول رسول الله ﷺ:**"لأن يزني الرجل بعشر نسوة خير له من أن يزني بامرأة جاره ولأن يسرق من عشرة أبيات أيسر له من أن يسرق من بيت جاره -** [2].

ولكن لماذا كل هذا الفارق فإنما هو زنى وزنى وسرقة وسرقة؟

والجواب، لأن الجار مؤتمن من جاره على عرضه وماله، فلما خانه باء بالخسران المبين وتلك عاقبة الخائنين.

والأمانة هي شطر ما يحتاجه الناس من الناس في الدنيا لقضاء حوائجهم وأعمالهم، قال تعالى:{قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ} [القصص: ٢٦].

وقال تعالى:{قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ} [النمل: ٣٩].

وذلك أن القوي الخائن أو الضعيف الأمين كلاهما لا يقوم الأمر به ولا يستقيم فلا تغني قوة خائن ولا تنفع أمانة ضعيف ولسنا نعني بالقوة قوة البنيان ولكنها عزيمة في القلب وعلو في الهمة وإصرار على بلوغ الهدف وقدرة على أداء ما يوكل إلى المرء من أعمال.

والأمانة أحد أربع خصال أخبر الرسول ﷺ أنها خير من الدنيا وما فيها فقد قال ﷺ:**"أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة وصدق حديث وحسن خليقة وعفة في طعمة -** [3].

وإذا ما تحدثنا عن الأمانة فلتعلم أن الأمانة لم تجد لها موطناً وملاذاً، كما وجدت ذلك في رسول الله ﷺ، فالصادق الأمين لقبه الذي يصاحبه

(1) رواه أحمد وابن حبان وصححه الألباني 7179 ص.ج.
(2) رواه البخاري.
(3) رواه الحاكم والطبراني وصححه الألباني 873 ص.ج.

في غدوه ورواحه، فإنّا لم نعلم عن أحد على الإطلاق يأتمنه أعداؤه وكارهوه على أغلى ما يملكون، حتى بعدما عقدوا النية على قتله إلا رسول الله ﷺ فهم على يقين أن محمداً لا يخون، وإن خان كل الناس، ولا يغدر وإن غدر كل الناس، فما عهدوه إلا صادقاً، وما عرفوه إلا أميناً، لا يغير من عظيم أخلاقه سوء أخلاقهم ولا يبدل من جميل طباعه قبيح طباعهم. هذا هو الحق الذي شهدوا به والحق ما شهدت به الأعداء وأحسن من قال:

وإذا أخذت العهد أو أعطيته ::: فجميع عهدك ذمة ووفاء

حتى أنه ﷺ لو غمز لأصحابه بعينه على رجل كافر طالما سبه وأذاه وهجاه لقتلوه ولكنه لم يفعل ذلك معللاً بقوله:**"ما كان لنبي أن تكون له خائنة الأعين -** [1].

ولم لا وهو الذي قال عن نفسه:**"أما والله إني لأمين في السماء وأمين في الأرض -** [2].

أما وقد تبدل الحال وضيّعت الأمانة عند الكثيرين في أفعالهم وأقوالهم في بيعهم وشرائهم في وعدهم وعهدهم إلا منَ رحم الله وَصار الحال كما قال رسول الله ﷺ:**"يصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة فيقال إن في بني فلان رجل أمين -** [3].

سبحان الله إلى هذا الحد يأتي على الناس زمان قد بدت أوائله ودلائله تُفقد فيه الأمانة حتى يتحاكى الناس عن الرجل الأمين وساعة تضيع الأمانة فالساعة يومئذ قريب، قال رسول الله ﷺ:**"إذا ضيعت الأمانة فانتظروا الساعة -** [4].

(1) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه.
(2) رواه الطبراني وصححه الألباني 1337 ص.ج.
(3) متفق عليه.
(4) رواه البخاري.

وإذا ضيعت الأمانة فإن ذلك نذير هلاك لا محالة فقد قال رسول الله ﷺ: **"إن الله إذا أراد أن يهلك عبداً نزع منه الحياء فلا تلقاه إلا مقيتاً ممقتاً فإذا لم تلقه إلا مقيتاً ممقتاً نزعت منه الأمانة فلا تلقاه إلا خائناً مخوناً فإذا لم تلقه إلا خائناً مخوناً نزعت منه الرحمة فلا تلقاه إلا رجيماً ملعناً فإذا لم تلقه إلا رجيماً ملعناً نزعت منه ربقة الإسلام -** (1).

وإذا ضيعت الأمانة فبمن يثق الناس ومن يأمنوا على أمر دينهم ودنياهم؟... ساعتها:

بمن يثق الإنسان فيما ينوبه ::: ومن أين للحر الكريم صحاب
وقد صار كل الناس إلا أقلهم ::: ذئاب على أجسادهن ثياب

فأسأل نفسك أين أنت من الأمانة؟ وأين الأمانة منك؟

هل خنت عهداً أو أخلفت وعداً؟ وهل ضيعت وديعة بمكر وخديعة؟

وهل أفشيت سراً أو كشفت ستراً؟ وهل غدرت ولو حتى بغادر؟

فإن كنت قد فعلت وللخيانة قد أتيت

فبنفسك عن حب الإله قد نأيت

فإن الله لا يحب الخائنين ولا يهدي لهم كيداً ولا يفلح لهم قصد

فعد إلى الله وكن أميناً ولو قيل عن الأمين سفيه

ولا تخن أبداً حتى ولو قيل الخيانة تنجيه

أما تخشى يوماً ينصب فيه لكل غادر لواء

ويقال هذه غدرة فلان فيا لشماتة الأعداء

فلا يدفعنك حب الأموال والأولاد إلى الخيانة

ومن أجل دنيا فانية تضيع الأمانة

قال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ

(1) رواه ابن ماجه من حديث ابن عمر.

وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ } [الأنفال: ٢٧، ٢٨].

وقال رسول الله ﷺ: **"اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة اصدقوا إذا حدثتم وأوفوا إذا وعدتم وأدوا إذا اؤتمنتم واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم -** [1].

وقال ﷺ: **" ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من قطيعة الرحم والخيانة والكذب -** [2].

{رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ } [آل عمران: ٨].

* * *

(1) رواه الحاكم وحسنه الألباني 1018 ص.ج.
(2) رواه الترمذي وصححه الألباني 5704 ص.ج.

الله لا يحب المختالين

قال تعالى:{وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا } [النساء: ٣٦].

وقال تعالى:{ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ} [لقمان: ١٨].

وقال تعالى:{مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ} [الحديد: ٢٢ - ٢٣].

وقال رسول الله ﷺ:**"بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل جمته إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة** - (1)، وقال ﷺ:**"كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب لينتهين قوم يفتخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان** - (2)، وقال ﷺ:**"من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة** - (3).

والذي يختال على الناس ويفتخر عليهم إنما يكون ذلك بنسيان أمرين:

أما الأول: فنسيان ما كان من أمره.

وأما الثاني: فنسيان ما سيصير إليه أمره.

- فأما ما كان من أمره فقد كان عدماً ثم صار بأمر الله تعالى ماءً مهيناً ثم نطفة في قرار مكين ثم علقة ثم مضغة ثم عظاماً ثم كسى الله العظام لحماً ثم أنشأه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين.

---

(1) متفق عليه.
(2) رواه البزار، وصححه الألباني 4568 ص.ج.
(3) متفق عليه.

ثم يخرج إلى الدنيا ولا علم له بأي شيء على الإطلاق ولا يميز بين الأشياء فالشيء ونقيضه عنده سواء بسواء، قال تعالى:{وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ} [النحل: ٧٨]، فلما صار ذا سمع وذا بصر نسى أنه لم يكن شيئاً مذكوراً ونسى أن ما هو فيه من نعم إنما هي محض فضل من الله ﷻ.

- وأما ما سيصير إليه أمره أنه موقوف غداً بين يدي الله ﷻ وقد سلب ما كان يفتخر به ويختال في الدنيا بل وقد سلب الدنيا بأجمعها.

فعجباً لمن يختال على من هو مثله في الخلق تماماً بتمام... الكل من تراب وطين وماء مهين.

وعجباً من مختال يعلم أنه مهما كانت هيئته.

ومهما زادت هيبته.

ومهما عظم بين الناس أمره.

ومهما ارتفع بين الناس قدره.

قد تنتنه عرقة فيعافه أقرب الأقربين حتى أمه وأباه.

وقد تميته شرقة فلا يملك أهل الأرض له نجاه.

وإني والله:

عجبت من معجب بصورته ::: وكان بالأمس نطفة مذرة
وفي غد بعد حسن هيئته ::: يصير في القبر جيفة قذرة

وما أدراك ما القبر؟.. هناك الجسم ممدود.. ليستأكله الدود.. إلى أن ينخر العود.. ويمسى العظم قد رم.

- وبأي شيء يفتخر الإنسان ويختال؟ وما من نعمة فيه أو معه إلا وهي محض فضل من الله ﷻ، قال تعالى:{ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ} [النحل: ٥٣]، والذي وهب قادر على أن يسلب ما وهب ولا يحول بينه وبين ذلك أحد.

- والذي يفتخر ويختال أبملك وسلطان؟

أما له في فرعون من عبرة وآية؟ هذا الذي أماته الله بالماء الذي هو مصدر الحياة، وأهلكه الله من حيث جعل لغيره النجاة.

- والذي يفتخر ويختال أبمال وحرث وثمر؟ أما له في قارون عبرة وآية؟ وقد خسف الله تعالى به الأرض التي تحمل كل بر وفاجر فما أغنى عنه ماله إذا تردى فإن لم يعتبر بهذا أما له في صاحب الجنتين عبرة وآية أما يخشى حسباناً من السماء فتصبح جنته صعيداً زلقاً أو يصبح ماؤها غوراً فلا يستطيع له طلبا أو يحاط بثمره فتصبح خاوية على عروشها كأن لم تغن بالأمس.

- والذي يفتخر ويختال أبآباء وأبناء؟

أما يعلم أن الناس تحاسب فرادى وأن كل امرئ بما كسب رهين وأنه لا تغني نفس عن نفس شيئا، قال تعالى: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ} [فاطر: ١٨].

- والذي يفتخر ويختال أبعقل وعلم؟!

فعسى الله أن يرده إلى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئاً.

ولا يحسن العلم ينفع وحده ::: إذا لم يتوج ربه بخلاق

وليعلم أن من كان لله أعرف... كان من الله أخوف... فإن قوماً كان معهم العلم أنهاراً... فلم ينفعهم فصاروا كالحمار يحمل أسفاراً.

- والذي يفتخر ويختال أبقوة وشدة خلق؟

فعسى الله أن يسلبه تلك القوة ما بين طرفة عين وانتباهتها أو يبقيه حتى ينكسه في الخلق فيصير إلى ضعف بعد قوة وإلى ذل بعد عز، قال تعالى:{ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ} [الروم: ٥٤].

- والذي يفتخر ويختال أبطاعات وقربات؟

فمن يدريه أن عمله مقبول وقد قال الله تعالى:{إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ} [المائدة: ٢٧]..

ومن يدريه أنه تقي وقد قال الله تعالى:{فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ} [النجم:٣٢]..

وهل يدري كيف تكون الخاتمة وقد قال رسول الله ﷺ:**"إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له بعمل أهل الجنة** - (1).

أما يخشى أن يكون من أهل قوله تعالى:{وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا} [الفرقان: ٢٣].

وليس كل التحدث بالنعمة فخراً وخيلاء فإن نسبة النعمة إلى المنعم سبحانه وأداء حقها بالذي أمر وبالذي نهى فذلك أمر محمود، أما اتخاذ النعمة سبيلاً للفخر والخيلاء بين الناس فتنقسم القلوب فيك ما بين حاقدة عليك، كارهة للخير للذي بين يديك، وبين متملقة إليك، تود بأي وسيلة لو صار لها مقام لديك، فذلك أمر مذموم.

فإن شئت أن تفتخر فبالإسلام الذي ارتضاه لك الله ديناً وادعه ﷻ أن يحفظك بالإسلام وافتده بالنفس والنفيس. وإن شئت أن تفتخر فبأنك من خير أمة أخرجت للناس وكن لذلك أهلاً بأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر إيماناً بالله وإياك أن تفتخر وتختال بعرض زائل فتكون ممن كرهه الله.

{رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ} [المؤمنون: ١١٨].

* * *

(1) رواه مسلم.

الله لا يحب المستكبرين

قال تعالى:{ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ } [النحل: ٢٣].

وقال رسول الله ﷺ:**"قال الله تعالى: الكبرياء ردائي والعز إزاري فمن نازعني في شيء منهما عذبته -** (1).

وقال ﷺ:**"ثلاثة لا تسأل عنهم رجل ينازع الله إزاره ورجل ينازع الله رداءه فإن رداءه الكبرياء وإزاره العز ورجل شك في أمر الله والقنوط من رحمة الله -**(2).

وقال ﷺ:**"لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر** - قالوا: يا رسول الله إن المرء يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً فقال ﷺ: **"إن الله جميل يحب الجمال إنما الكبر بطر الحق وغمط الناس -** (3).

وقال ﷺ:**"يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال -** (4).

وقال ﷺ:**"ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر -** (5).

وقال ﷺ:**"إن من أبغضكم إليّ وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون** - قالوا: يا رسول الله ما المتفيهقون؟ قال:**"المتكبرون**"(6).

وإني عجبت لعبد يستكبر في ملك مولاه وسيده وينسى أنه مملوك لا

(1) رواه البخاري.
(2) رواه البخاري.
(3) رواه مسلم.
(4) رواه الترمذي وصححه الألباني 8040 ص.ج.
(5) متفق عليه.
(6) رواه الترمذي وصححه الألباني 2201 ص.ج.

يملك، أما يخشى يوماً تتكشف فيه الأوهام وتزل فيه الأقدام.

وعجبت لعبد يتأسي بإبليس في تكبره أما يخشى أن يكون مصيره كمصيره إذ قال الله تعالى له:{فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا} [الأعراف: ١٣].

وعجبت لعبد يستكبر وهو كل يوم يجهز غادياً إلى الله ﷻ وهو إلى مثل ذلك غاد طال العمر به أو قصر.

فحقيق بالتواضع من يموت ::: وحسب المرأ من دنياه قوت
فيا هذا سترحل عن قريب ::: إلى قوم كلامهم السكوت

وعجبت لعبد مستكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين ويحمل في جوفه أقذاراً يغدو بها ويروح وقد سترها الله عن الناس رحمة منه وفضلاً... ولكن {وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الزمر: ٦٧].

فلو علم هذا المستكبر كم هو صغير وأنه لا يزن عند الله أي مثقال وأن ربه جل وعلا هو الكبير المتعال ما استكبر، ولو علم هذا المستكبر كم هو ضعيف عندما ما يقلب غداً في النار وأن ربه جل وعلا هو الواحد القهار ما استكبر، قال تعالى:{فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ} [فصلت: ١٥].

وإن كان الله قد أهلك عاداً بما استكبروا في الأرض فإن لكل زمن عاداً والله مهلكهم أو ممهلهم ليوم العرض، وتأمل كيف أن الله ﷻ لما أراد أن يمتدح الملائكة ما امتدحهم بصفة بمثل ما امتدحهم بعدم استكبارهم.

قال تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩} [الأعراف: ٢٠٦].

وقال تعالى:{ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾ } [فصلت: ٣٨].

وقال تعالى:{ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } [النحل: ٤٩ - ٥٠].

وهذا رسول الله ﷺ ما استكبر يوماً على أحد بل كان أشد الناس تواضعاً وأحسن الناس أدباً وأعظم الناس خلقاً، فإذا ما هابه رجل لما علم أنه رسول الله قال له:**"هون عليك فإني لست بملك فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد"** - (1). وإن عظّمه رجال بغير الذي يُرضي الله ﷻ قال لهم:**"لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله"** - (2). وإن نسبوا إليه ما ليس له وقالوا ما شاء الله وما شاء محمد قال لهم:**"قولوا ما شاء الله ثم شئت"** - (3).

وتأتيه امرأة وتقول له إن لي إليك حاجة فيقول لها:**"اجلسي في أي طريق المدينة شئت أجلس إليك"**.

وإذا ما جاءه رجال وقالوا له يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا قال لهم:**"أيها الناس قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان أنا محمد عبد الله ورسوله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله ﷻ"** - (4).

وإن تمكن ممن آذوه السنين الطوال... ودخل مكة يحيطه عشرة آلاف من الرجال... لو همت أسيافهم ترجو القتال... لجعلت من قريش آية في النكال وسوء المآل.

لكنه دخل وقد طأطأ رأسه الشريف حتى تكاد تصل إلى عنق بعيره من شدة التواضع في هذا الموضع الذي يزهو فيه الناس على الناس

(1) رواه الحاكم وصححه الألباني 2383 ص.ج.
(2) رواه البخاري.
(3) رواه أحمد وصححه الألباني 4420 ص.ج.
(4) رواه أبو داود.

ويعلو بعضهم على بعض ولكنه محمد ﷺ الذي قال:**"إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد"** [1]. وهو الذي قال ﷺ: **"ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله"** [2]. هذا رسول الله سيد ولد آدم ولا فخر متواضع أشد ما يكون التواضع.

فما بال أناس لم ولن يبلغوا منه مبلغ الثرى من الثريا ولم ولن يبلغوا منه مبلغ الذرة من المجرة... ولو اجتمعوا له، يستكبرون ويتعالون على الناس بغير الحق.

فليردوا نعم الله إلى الله فإذا ما بقى لهم شيء يستكبرون به على خلق الله فليستكبروا ولكن في ملك غير ملك مالكهم.

عواقب المستكبرين:

لو علم المستكبرون حالهم عند الموت وحالهم في القبر وما هم ملاقوه يوم القيامة ما استكبروا وكفى ببغض الله ﷻ لهم في الدنيا والآخرة، قال تعالى:{إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ} [النحل: ٢٣].

فهل يستطيع أحد على ذلك صبراً؟

وعلاوة على ذلك:

- الحرمان من الجنة:

قال رسول الله ﷺ:**"لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر"** [3].

وقال ﷺ:**"احتجّت الجنة والنار فقالت الجنة يدخلني الضعفاء والمساكين وقالت النار يدخلني الجبارون والمتكبرون فقال الله للنار أنت عذابي أنتقم بك ممن شئت وقال للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من شئت ولكل واحدة منكما ملؤها -**

(1) رواه مسلم.
(2) رواه مسلم.
(3) رواه مسلم.

.[1]

- الجزاء من جنس العمل:

قال رسول الله ﷺ:"إن المستكبرين يحشرون أمثال الذر يوم القيامة يطؤهم الناس بأقدامهم لتكبرهم - [2].

وقال ﷺ:"يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال - [3].

وفي الأثر:"أن المتكبرين تصغر لهم أجسامهم في المحشر- حتى يضرهم صغرها وتعظم لهم في النار حتى يضرهم عظمها -.

فتواضع لله يرفع شأنك ويعل قدرك فإن التواضع خاصة المؤمنين، قال تعالى:{ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ } [السجدة: ١٥].

ولا تستكبر فإن الاستكبار يعمي البصر والبصيرة فترى العين ولا تبصر ويعلم القلب وينكر، قال تعالى:{ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ } [الأعراف: ١٤٦].

- فلا تتكبر عن قبول الحق أياً كان قائله وأياً كان فاعله.

- ولا تتكبر أن تعترف بخطئك مهما علا قدرك فذلك أزكى لك وأطهر.

- ولا تتكبر أن تدعو ربك وترجوه وتتوسل إليه في أمرك كله

(1) رواه مسلم.
(2) رواه البزار.
(3) رواه الترمذي وصححه الألباني 8040 ص.ج.

صغيره وكبيره فلا قوة لك إلا بقوته ولا قدرة لك إلا بقدرته فأظهر فقرك ومسكنتك بين يدي مولاك يتصدق عليك بعظيم فضله وجميل عفوه فهو القائل:{إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ} [التوبة: ٦٠].

فإن لم تسأله وترجه وتدعه فقد تكبرت عليه فاحذر، فقد قال الله تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غافر: ٦٠].

ولا تتكبر على خلق الله فتبوء بسخط الله وغضبه فقد كان الحسن بن علي رضي الله عنهما، يجلس إلى المساكين يؤاكلهم ويشاربهم ويسأل عن ذلك فيقول:{إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ} [النحل: ٢٣]، وقال رسول الله ﷺ: **"ما من آدمي إلا في رأسه حكمة بيد ملك فإذا تواضع قيل للملك ارفع حكمته وإذا تكبر قيل للملك دع حكمته -** [1].

{رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ} [الشعراء: ٨٣].

* * *

(1) رواه الطبراني وحسنه الألباني 5675 ص.ج.

الله لا يحب المجاهرين

قال تعالى:{لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا} [النساء: ١٤٨].

وقال رسول الله ﷺ:**"كل أمتي معافى إلا المجاهرين وإن من الجهار أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله تعالى فيقول عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه** - (1).

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال عظني وأوجز فقال:**"إذا قمت في صلاتك فصل صلاة مودع ولا تتكلم بكلام تعتذر منه غداً** - (2). وقال رسول الله ﷺ: **"إن الله يبغض الفاحش المتفحش** - (3).

إن الله ﷻ لما أباح للمظلوم أن يجهر بالسوء أي بالدعاء علي ظالمه جعل لذلك حدوداً منها ألا يكذب عليه ولا يزيد على مظلمته ولا يتعدى إلى غير ظالمه وإلا أصبح ظالماً هو الآخر ومع ذلك فالعفو أولى، ولذلك أعقب الله ﷻ الآية السابقة بقوله تعالى:{إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا} [النساء:١٤٩].

فلو تعلم فإن الصوت المرتفع بغير حاجة كحرب أو استغاثة أو تعبير عن ألم لا يقره الإسلام بحال من الأحوال، قال تعالى:{وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ} [لقمان: ١٩].

حتى إن الصلاة التي هي عماد الدين قال تعالى في شأنها:{وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا} [الإسراء: ١١٠].

ولقد مر رسول الله ﷺ بأبي بكر الصديق ﷺ وهو يصلي بصوت

(1) متفق عليه.
(2) رواه ابن ماجه وصححه الألباني 742 ص.ج.
(3) رواه أحمد وصححه الألباني 1877 ص.ج.

خفيض فلما فرغ سأله عن سبب ذلك الصوت الخفيض فقال يارسول الله قد أسمعت من أناجي فأمره أن يرفع صوته قليلاً.

ومر ﷺ بعمر بن الخطاب ﷺ وهو يصلي بصوت مرتفع فلما فرغ سأله عن سبب ذلك الصوت المرتفع فقال: يارسول الله أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان فأمره أن يخفض صوته قليلاً.

والدعاء الذي هو العبادة أو مخ العبادة قال تعالى عنه:{وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ} [الأعراف: ٢٠٥].

ولذلك سئل النبي ﷺ أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله ﷻ قوله: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ} [البقرة: ١٨٦].

حتى إن أقواماً رفعوا أصواتهم بالدعاء في بعض الأسفار فقال لهم النبي ﷺ:**"يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم** - [1].

والجهر بالدعاء على الظالم لا يكون إلا بحدود قد بيّناها منها: ألا يكذب المظلوم ولا يفتري ولا يتعدى ولا يزيد وقد دعى رسول الله ﷺ على أناس بما ظلموا فقال: **"اللهم اشدد وطأتك على مضر- واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف** -. وقال في حق آخرين:**"اللهم عليك بفلان وفلان وسماهم بأسمائهم** -. وقال:**"اللهم انصرني على من ظلمني حتى تريني فيه ثأري** -.

ولكن مع دعائه هذا لم يتعد قط ولم يبغ على أحد ولم يسب ولم يزد على أن فوض الأمر لصاحب الأمر بل لقد كان دعاؤه علي من دعى عليهم بياناً لأمته لجواز الدعاء على الظالم وإلا فقد كان ﷺ سمحاً سهلاً

(1) متفق عليه.

لين القلب حسن الطبع ليس بفاحش ولا بذيء ولا فظ ولا غليظ يعفو عمن ظلمه ويحلم على من جهل عليه ولا يقابل السيئة بالسيئة وإنما بالعفو والإحسان.

كلامه كله خير وصدق وبر، أشد حياءً من العذراء في خدرها يلمح وقت لا ينفع التصريح ويصرح وقت لا ينفع التلميح. فما بال أناس يجهرون بالفاحش من القول ليل نهار فلا يبالي أحدهم بأي كلام يتكلم... يسب هذا ويلعن هذا ويقذف هذا ويغتاب هذا أما يعلم أن الله لا يحب الفاحش البذيء؟

- أما يعلم أن سباب المسلم فسوق؟

- أما يعلم أن من صفات المنافق أنه إذا خاصم فجر وإذا حدث كذب؟

- أما يعلم أن الجوارح باللسان فإذا ما استقام استقامت وإذا ما اعوج اعوجت فيملك عليه لسانه؟

- أما يعلم صاحب اللسان الفاحش أن للنار ألسنة؟

- أما يخشى يوماً يختم فيه على لسانه فلا يتكلم بطيب أو قبيح؟

قال تعالى:{ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ } [يس: ٦٥].

- أما يخشى يوماً يخشع فيه كل شيء حتى الأصوات، قال تعالى:{وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا} [طه: ١٠٨].

أما يعلم قول نبيه ﷺ:**"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت** - [1].

أليس له في النبي ﷺ قدوة حسنة فقد كان ﷺ لا يضحك إلا تبسماً وإذا سلم على قوم سلم سلاماً لا يوقظ نائماً لكنه يسمع مستيقظاً... ولم يكن ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخاباً في الأسواق.

(1) متفق عليه.

- أما يعلم أن شر الناس منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه؟

نعم مثل هذا الفاحش السفيه تجنبه أولى ومجانبته خير، فقد قال الله تعالى واصفاً عباد الرحمن:{وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا} [الفرقان: ٦٣].

نعم:

متاركة اللئيم بلا جواب ::: أشد على اللئيم من السباب

فالبعد عن المجاهر بالفحش أولى وعدم مجاراته أسلم.

فإذا نطق السفيه فلا تجبه ::: فخير من إجابته السكوت
فإن كلمته فرجت عنه ::: وإن خليته كمداً يموت

فكل بئر ينضح بما فيه فكن كما قال القائل:

يخاطبني السفيه بكل قبح ::: فأكره أن أكون له مجيبا
يزيد سفاهة فأزيد حلماً ::: كعود زاده الإحراق طيبا

عاقبة المجاهر بالسوء:

- المجاهر بالسوء والمفاخر بالذنوب لا حياء له من الله ولا حياء له من الناس والحياء كله خير وقد حرم كل الخير وليس بمعافى مما هو فيه، وكيف برجل يكشف ستر الله عنه؟ وكيف برجل لا يتكلم إلا فحشاً ولا ينطق إلا بذاءة وهو يعلم أن الله يسمع ويرى، وهو يعلم أنه لا يكب الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم؟ إذن فحرى به ألا يحبه الله.

- ثم العقاب العاجل في الدنيا قبل الآخرة قال ﷺ:"**خمس بخمس: ما نقض قوم العهد إلا سلط عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر ولا ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت ولا طففوا المكيال إلا مُنعوا النبات وأُخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة إلا حُبس عنهم القطر** - [1].

(1) رواه الطبراني وحسنه الألباني 3240 ص.ج.

- ثم إن الجهر بالفاحشة دعوة لأن تشيع تلك الفاحشة ومن ثم فالعذاب أليم في الدنيا والآخرة، قال تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النور:١٩].

- ثم إن المجاهر بالسوء أياً كان هذا السوء قد سن في الناس سُنة سيئة وقال ﷺ:**"ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزارهم شيء** - (1).

فتأدب أدب عبد في حضرة مولاه... على قدر ما يحبه يخافه ويخشاه

{رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى} [طه: ٢٥ - ٢٨].

* * *

(1) رواه مسلم.

الله لا يحب الفرحين

قال تعالى: {إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ} [القصص: ٧٦].

وقال رسول الله ﷺ: **"من جعل الهموم هماً واحداً هم المعاد كفاه الله سائر همومه ومن تشعبت به الهموم من أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها هلك** - (1).

والفرح قسمان قسم ممدوح وآخر مذموم:

* أما الفرح الممدوح والذي يحبه الله ﷻ هو ما كان فرحا بخير أو بحق ودون تجاوز أو إفراط، قال تعالى: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} [يونس: ٥٨].

وفضل الله ورحمته فسرها عمر بن الخطاب ﷺ بالقرآن وذلك لما زادت حصيلة الزكاة في عهده قال أحد المسلمين هذا من فضل الله ورحمته فقال ابن الخطاب: لا إنما ذلك القرآن أما هذا المال فمما يجمعون.

* وأما الفرح المذموم والذي لا يحبه الله ﷻ ولا يحب أهله فهو ما كان بشر أو بباطل وهو ما كان بغرور وتعالٍ وتكبر.

قال تعالى مخاطباً الكافرين: {ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ} [غافر: ٧٥، ٧٦].

ومن ثم فلا ضير أن يفرح الناس بما يحبه الله ورسوله فإنه فرح لا لوم فيه بل فيه أجر من الله تعالى وحسن ثواب.

ولم لا.. وقد أثنى الله تبارك وتعالى على أصحاب نبيه بفرحهم

(1) رواه الحاكم وحسنه الألباني 6189 ص.ج.

واستبشارهم بالقرآن الكريم، قال تعالى:{وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ} [التوبة:١٢٤].

كما أقر جل وعلا فرح المؤمنين بنصر أهل الكتاب من الروم على عبدة النيران والأوثان في فارس، قال تعالى:{غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥} [الروم: ٢ - ٥].

وأثنى جل وعلا على من آمن من أهل الكتاب بفرحهم بالقرآن، قال تعالى:{ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ} [الرعد: ٣٦].

ليس هذا فحسب بل إن النبي ﷺ فرح بكل خير وبكل حق وبكل نصر وبكل ما يرضي رب العالمين ويعلي من شأن هذا الدين ويأخذ بأيدي المسلمين.

ومن ذلك ما كان يوم بدر:

لما أتاه خبر مسير قريش ليمنعوا عيرهم فاستشار الناس فقام أبو بكر فقال وأحسن... ثم قام عمر فقال وأحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يارسول الله امض لما أمرك الله به فنحن معك... والله لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إن ههنا قاعدون ولكن نقول اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه.

فقال رسول الله ﷺ خيراً ودعا له ثم قال رسول الله ﷺ :"**أشيروا عليّ أيها الناس** - فوقف سعد بن معاذ وقال: والله لكأنك تعنينا يا رسول الله؟ قال:"**أجل** -، فقال سعد: فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا فامض يا رسول الله لما أردت ونحن معك فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر

فخضته لخضناه معك ما تخلف منا أحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً... إنّا لصبر في الحرب صدق عند اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح النبي ﷺ لقول سعد فرحاً كبيراً ثم قال:

سيروا وأبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم.

ذلك مثل لما أفرح النبي ﷺ وإلا فالأمثلة كثيرة.

ليس هذا وحسب بل إن الله ﷻ يفرح بتوبة عبده فقد قال رسول الله ﷺ:**"لله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم إذا سقط عليه بعيره قد أضله بأرض فلاة -** (1). وقال ﷺ:**"لله أفرح بتوبة أحدكم من أحدكم بضالته إذا وجدها -** (2).

وقال ﷺ:**"لله أفرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلاً وبه مهلكه ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده عليها زاده طعامه وشرابه فالله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده -** (3).

ومن ثم فالفرح على الإطلاق مباح لا شيء فيه ولكن بم تفرح؟ ولم تفرح؟ وكيف تفرح؟ تلك الأسئلة هي التي تحدد ما إذا كان الفرح محموداً أو مذموماً.

- فمن الناس من يفرح بما آتاه الله فرح بطر لظنهم أن ما أدركوه من الخير أو ما أدركهم إنما هو بحولهم وقوتهم وما علموا أن ذلك أمر قد جرى به قضاء الله قبل أن يكونوا.

قال تعالى:{مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن

(1) متفق عليه.
(2) رواه الترمذي وصححه الألباني 5032 ص.ج.
(3) متفق عليه.

قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} [الحديد: ٢٢، ٢٣].

- ومن الناس من يفرح برزق يأتيه ولا يحمل للآخرة هماً ولا يقيم للقيامة وزناً وكأن الدنيا دائمة أبداً لا تزول، قال تعالى:{ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ} [الرعد: ٢٦].

- ومن الناس من إذا فتحت عليه أبواب النعم نسى المنعم جاحداً وفرح بما هو فيه من النعم وما علم أن النعم في الدنيا قد تكون عقاباً أو بعض عقاب كما قد تكون ثواباً أو بعض ثواب، قال تعالى:{فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ} [الأنعام: ٤٤].

- ومن الناس من رضاه وسخطه مرتبط بالنعمة وجوداً وعدماً لا بالمنعم تسليماً وحباً، قال تعالى:{وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ} [الشورى: ٤٨].

وقال تعالى:{وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ} [هود: ٩، ١٠].

وقال تعالى:{ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ} [الروم: ٣٦].

- ومن الناس من يحزنه فرح الناس وما يصيبهم من خير ونعمة ويفرحه ما يحزن الناس وما يصيبهم من شر ونقمة، قال تعالى:{إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} [آل عمران: ١٢٠].

وقال تعالى:{إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ} [التوبة: ٥٠].

- ومن الناس من هواه وغايته وما يطمح إليه أن يخالف الجماعة فينظر أي طريق سلكوه ثم يسلك غيره وما علم أن الذئب إنما يأكل من الغنم القاصية وما علم أن يد الله مع الجماعة، قال تعالى:{وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} [المؤمنون: ٥٢، ٥٣].

وقال تعالى:{وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ } [الروم: ٣١، ٣٢].

- كل ابن آدم خطاء ولكن ما أسوأ أن يفرح المرأ بخطيئته ومعصيته ظناً منه أنه فعل الأصوب والأرشد بل ويدعو الناس لمثل صنيعه. قال تعالى: { فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ } [التوبة: ٨١].

تلك أمثلة لما لا يحبه الله ﷻ من الفرح تلك التي فيها وفي أشباهها يقال:{إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ} [القصص: ٧٦].

وعلى كلٍ فالفرح في الدنيا لا يدوم وكذلك الحزن أما الآخرة فالفرح فيها يدوم والحزن كذلك.

أما الفرح ففي الجنة:

قال تعالى:{ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ} [الأعراف: ٤٩].

وقال تعالى:{ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } [آل عمران: ١٧٠].

وهذا الفرح إنما يبدأ السبيل إليه من الدنيا وذلك بفعل ما أمر الله ﷻ واجتناب ما نهى.

قال تعالى:{ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } [البقرة: ١١٢].

وقال تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ} [البقرة: ٢٧٧].

فإن حسن البدء حسن الختام.

قال تعالى حكاية عن أهل الجنة:{وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ} [فاطر: ٣٤، ٣٥].

وقال تعالى:{وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ} [هود: ١٠٨].

وأما الحزن ففي النار:

قال تعالى:{كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ} [الحج: ٢٢].

فأهل النار في الهم والغم خالدون... وهم من كل فرح أو مرح آيسون.

وكيف تفرح قلوب حيل بينها وبين رحمة الله بما كسبت؟

قلوب النار طعامها وشرابها... قلوب النار لباسها ومهادها.

بل وكيف تفرح نفوس غاية ما تتمناه الموت بعدما يئست من تخفيف العذاب ولو ليوم واحد، قال تعالى حكاية عنهم:{وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ} [غافر: ٤٩].

فكان الجواب:{قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ} [غافر: ٥٠].

ثم ينتقلون إلى المطلب الثاني وهو الموت، قال تعالى حكاية عنهم:{وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ}، فيأتيهم الجواب يحمل الحسرة والحزن واليأس والألم:{قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ} [الزخرف: ٧٧].

وقال تعالى:{لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ

نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ } [فاطر: ٣٦].

نعم كانوا يشتهون الموت ولكن حيل بينهم وبين ما يشتهون.

فليدعوا ما شاؤوا فما من مجيب... فإن يوم عذابهم ليس له شمس تغيب.

- فاعمل ليوم فرحك فيه لا يوصف يوم ينادي عليك مناد من قبل الله ﷻ لقد سعد فلان ابن فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً.

- اعمل ليوم لا ترافق فيه الأشرار من المجرمين والفجار.

- ولكن تفرح فيه بلقاء الأخيار من الصالحين والأبرار.

- اعمل ليوم تفرح فيه بلقاء - عليّ - هذا الولي النقي.

- اعمل ليوم تفرح فيه بلقاء - عثمان - هذا الحيي السخي.

- اعمل ليوم تفرح فيه بلقاء - عمر - هذا القوي الأبي.

- اعمل ليوم تفرح فيه بلقاء - أبا بكر - هذا الوفي التقي.

ثم اعمل ليوم تفرح فيه بلقاء النبي

تؤاكله... تشاربه... تجالسه... تحاكيه

تسائله... تحاوره... تماشيه... تناجيه

تصاحبه... ترافقه... تواعده... تلاقيه

ثم اعمل ليوم تفرح فيه بلقاء مولاك

يعطيك الخير ويدنيك... ويقيك من النار وينجيك

ويدخلك الجنة برحمته... ويرضى عنك ويرضيك

تلك الجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، تلك الجنة التي أودعها الله جميع أنواع الخير وطهرها من كل عيب وضير أرضها المسك والزعفران وسقفها عرش الرحمن.

تلك الجنة التي أنهارها من ماء غير آسن، ومن لبن لم يتغير طعمه،

ومن خمر لذة للشاربين، ومن عسل مصفى.

تلك الجنة التي من طعامها فاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون.

تلك الجنة لا يفنى فيها الشباب ولا تبلى فيها الثياب.

تلك الجنة التي لا خوف فيها من آت ولا حزن فيها على ما فات.

تلك الجنة التي هي حياة لا يعقبها موت، وصحة لا يعقبها سقم، وشباب لا يعقبه هرم، ونعيم لا يعقبه بؤس، كل ذلك أبداً أبداً، ثم الزيادة حين ينادي المنادي: يا أهل الجنة إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم فحي على زيارته فيقولون: سمعاً وطاعة وينهضون إلى الزيارة مبادرين فإذا بالنجائب قد أعدت لهم فيستوون على ظهورها مسرعين إلى الوادي الأفيح الذي جعل لهم موعداً فيأمر الرب تبارك وتعالى بكرسيه فينصب هناك ثم تنصب لهم منابر من نور ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة يجلس أدناهم - وحاشاهم أن يكون فيهم دني - على كثبان المسك ما يرون أن أصحاب الكراسي فوقهم في العطايا، حتى إذا استقرت بهم مجالسهم واطمأنت بهم أماكنهم نادى المنادي: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويزحزحنا عن النار ويدخلنا الجنة؟ فبينما هم كذلك إذا سطع لهم نور أشرقت له الجنة فرفعوا رؤوسهم فإذا بالجبار جل جلاله وتقدست أسماؤه قد أشرف عليهم من فوقهم وقال: يا أهل الجنة سلام عليكم فيقولوا: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام، فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى ويقول: أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني فهذا يوم المزيد؟ فيقولون: يارب رضينا فارض عنا، فيقول يا أهل الجنة إني لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتي، هذا يوم المزيد فاسألوني فيجتمعون على كلمة واحدة قائلين ربنا: **أرنا وجهك ننظر إليك.**

فيكشف الرب جل جلاله الحجب ويتجلى لهم.

فيغشاهم من نوره ما لولا أن الله تعالى قضى ألا يحترقوا لاحترقوا ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه محاضرة حتى إنه ليقول يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا...

يذكره ببعض غدراته في الدنيا.

فيقول يارب ألم تغفر لي؟

فيقول بلى بمغفرتي بلغت منزلتك هذه.

فيالذة الأسماع بتلك المحاضرة

ويا قرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجه الكريم في الدار الآخرة

ويا فرحة القلوب التي كانت في الدنيا مطمئنة بذكره وعامرة

ويا نضارة وجوه إلى ربها يوم القيامة ناظرة

ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة

ويا خيبة وجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة

" فنسألك اللهم لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة "

{رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ} [البقرة: ٢٠١].

* * *